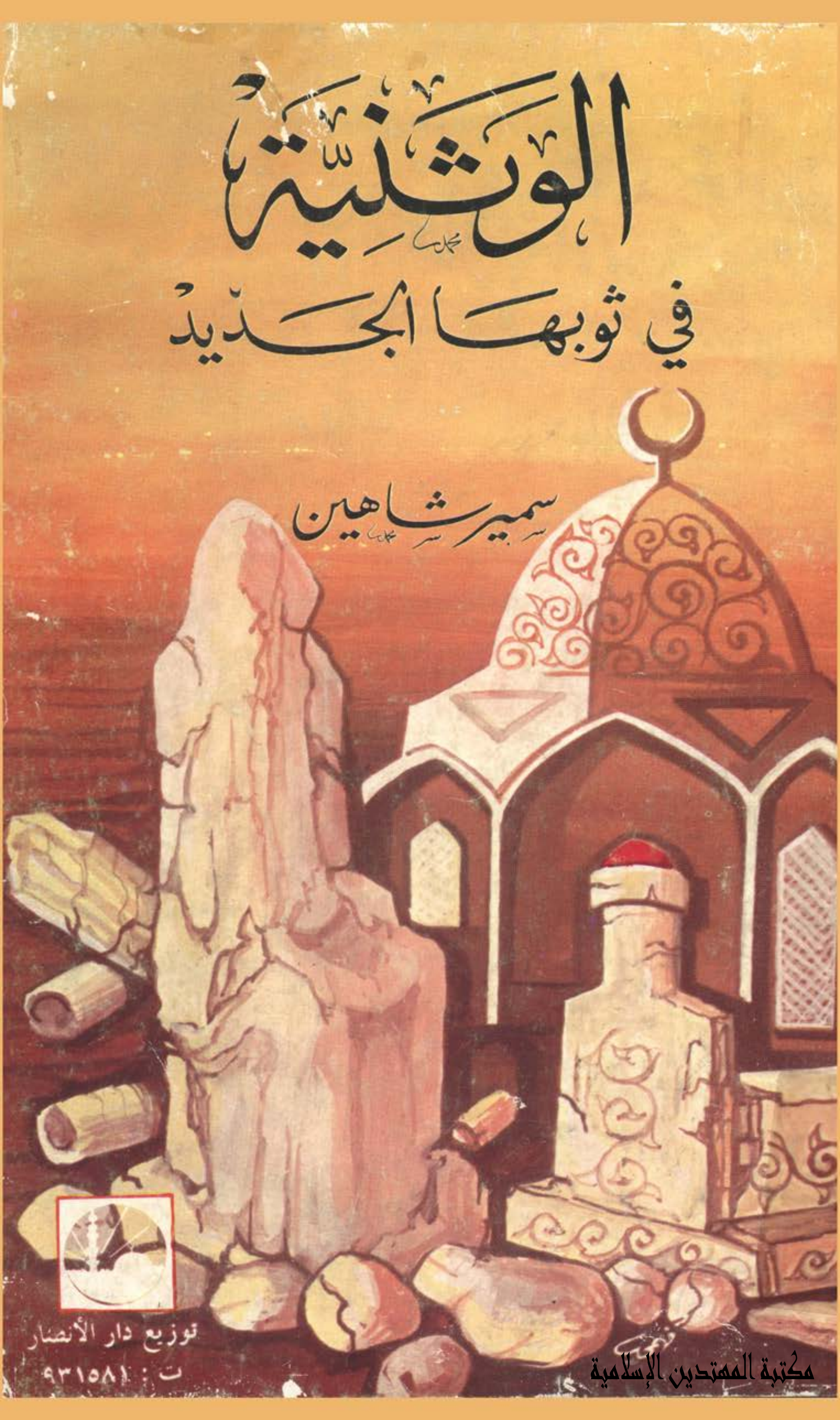
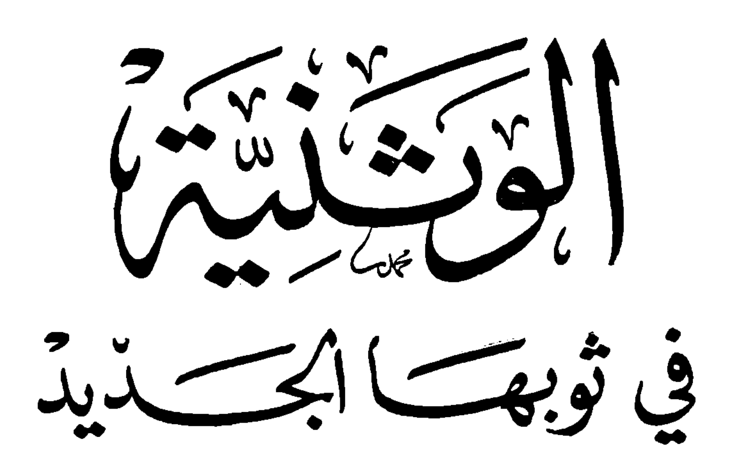

الوثنية
في ثوبها الجديد
سمير شاهين
توزيع دار الأنصار
ت : ٩٣١٥٨١
مكتبة المهتدين الإسلامية



سمير شاهين



بسم الله الرحمن الرحيم

هـــذا البحـــث

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومصطفاه محمد عليه الصلاة والسلام ، الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، ومن اهتدى بهديه ، وســـار على طريقه الى يـوم الـــدين .

أمـــا بعـــد

فقد أطلعت على هذا البحث الذى أعده الأخ الأستاذ «سمير شاهين» من الشباب المسلم الواعى ، الحريص على تتبع الحق فى فطانة ،وابراز الكلمة الطيبة على خير وجــه وقد أراد لبحثه هــذا العنوان : الوثنية فى ثوبهـــا الجـــديد .

وقضية الوثنية بالغة الخطورة ، اذ هى مكمن الـــداء الذى يتربص بخير أمة أخرجت للناس ، فيعصف بهديها وهـــداها ، ويزعزع أمنهـــا واستقرارها ، ويحبط عملها ويفسد سعيها .

ولأجل هذا ما اهتم الاسلام بشىء مثل اهتمامه باعـــلان الحـــرب على الوثنية بكل صورها وأشكالها .

وكلمة الوثنية يعنى اتخاذ رموز أو أشكال من الناس أو من الأشياء يجسدون فيها عقيدة العبودية لله .

اتخذت فى المجتمع العربى قبل الاسلام صورة اتخاذ الشفعاء لله .

والتماس الوسطاء عنده .

والاستقسام بالأزلام .

وذبح القرابين عند الأنصاب •

وفى يقينهم أنهم مع هذا كله ما خالفوا سبيل العبودية لله •

وجاء الاسلام وأبطل هذه الوثنيات كلهـا •

وأبطل تقـديس الأشخاص حتى قال رب العالمين فى شـأن نبيـه الكريم « **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** » •

كما قال ﷺ عن نفسـه :

لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم انما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله » •

ولقد اتخذ رسـول الله ﷺ من الوسائل ، وقـدم من التوجيهات ما يحول به بين المسلمين والتردى الى الوثنية بصورة من الصور،أوبتأثير أى مسوغ من المسوغات •

فكان صلى الله عليه وسلم يقول :« **اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد** »

كما كان يقول : **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهـم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك** •

وكان للمشركن شجرة يقال لها ذات أنواط ، يعلقون عليها سيوفهم ، فقال بعض المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل لنـا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : لقـد قلتم ما قاله قوم موسى لموسى : (**اجعل لنا الها كما لهم آلهه ، قال انكم قـوم تجهلون**) •

وذلك لأن التقليد الأعمى باب خطير من أبواب المتورط فى الوثنية ، ومن هنا حذرهم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المقارنة التى تدين بلا ريب مثل هذا العمل •

كان صلى الله عليه وسلم ينصح من يتخذ سترة له فى صلاته أن يقف عن يمينهـا أو يسارها ولا يصمد اليها صمدا ، حتى لا يقع فى النفـوس وهم أنه يتجه بالتعظيم لهذه السترة •

كما حذر من أن نتحرى بصلاتنا طلوع الشمس أو غروبها فانها تطلع بين قرنى شيطان ، ويسجد لها الكفار • وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن لا يقع فى المجتمع المسلم أمر يكون فيه مجرد مشابهة لأعمال الوثنية •

كل هذه الشواهد تؤكد بصورة قاطعة رفض الاسلام للوثنية ، ولما يشبهها ، ولما يمكن أن يكون سبيلا لها من قول أو عمل ، ان مناط العقيدة فى هذا الدين الحق أن يتحرر الوجدان تماما من كل عبودية لغير الله تعالى •

والعبادة أو العبودية اسم جامع مثل قول أو عمل يشعر بتعظيم أو تقديس •

ومن هنا نحمد للباحث تخيره لهذا الموضوع • وتوجيه دراسته الموجزة لهذه المسائل ، اذ هى ليست من نافلة القول ، ونحن فى غنى من الحديث عنها •

وليست مسائل خلافية من المستحسن أن نعف عنها حرصا على وحدة الأمة •

انها العقيدة التى يقوم عليها بناء الدين ، ولابد الحفاظ عليها ، سليمة نقية ، راسخة شامخة •

لقد تحدث الباحث فى موضوعات ذات بال •

تحدث عن تحريم اتخاذ القبور مساجد •

وتحدث عن تحريم القبور المشرفة •

وتحدث عن ايقاد السرج على المقابر ، والكتابة عليها •

وتحدث عن النهى عن الصلاة عند القبور •

وعن شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة •

ثم تناول الوثنية فى ثيابها الجديدة •

وقدم صورا عدة من واقع الحياة المصرية ، وما يجرى من مخالفات صارخة للعقيدة الصحيحة •

ودخل فى حوار مع عبادة القبور تناول قضايا مختلفة •

وكتب فصلا جديدا كشف بطريقة حاسمة أساليب الزيف والتلبيس والمظاهر الشركية التى أحاطت بعقــائد المسلمين تحت عنوان : أصــنام فارغة وأحجار تعبد •

وكانت شواهد الباحث من القرآن الكريم ، والحديث الصحيح •

وأحيانا يستأنس بقصائد الشعراء الذين ينقدون مظاهر الوثنيــة

هذا وقد عزز الباحث أيضا كل ما كتب بفتاوى لجمهرة من العلمــاء الموثوق بهم •

ثم ختم كلامه بالدعوة الى كلمة سواء تنم عن حرص على دعم الحق ومساندته بلا تعصب أو هوى •

بقى أن أقول ان الباحث شــاب غيــور ، راغب فى البحث ، محب للاطلاع ، هو يريد أن يقدم لاخوانه خلاصة جهــده وعمله ، ولا يــدعى لنفسه أنه مؤلف ، أو محقق أو مجتهد انما هو مسلم عرف شيئا ، وبحــكم الالتزام الاسلامى لابــد له أن يعلم غيره بما علم ، معذرة الى ربــه ، ولعل هؤلاء الذين يقعون فى هذه الظواهر الضالة يثوبون الى رشدهم ، ويعودون عودا صادقا الى ربهم ، وعند ذاك يشعر الكاتب بســعادة لا حــد لها •

أســأل الله تبارك وتعالى أن يثبتنا جميعا بالقول الثابت فى الحيــاة الدنيــا وفى الآخرة •

وجزى الله كاتب هذه الكلمات خير الجزاء ، وغفر لنا ولــه •

واللــه يقول الحق وهو يهدى السبيل ،

دكتور السيد رزق الطويل

مكة المكرمة ــ جامعة أم القرى ــ كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليــا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين •

أمـــا بعـــد

فان ديننا الاسلامى قد نهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وأن يتحرى الناس أماكن دفنهم ويحتفلوا بهم ويدعوهم من دون الله أو يدعوا الله بهم • وهو ما عرف بين عامة الناس اليوم بمساجد أولياء الله الصالحين من حيث لا يدرون أن بناء تلك الأضرحة فـوق أصحابها من الأموات وخاصة داخل المساجد انما هو دخيل على الاسلام ولا يمت له بصـلة •

حتى أصبح البعض عنـدما يرى ضريحا من هذه الأضرحة يجـزم بالقول بأن المدفون به (ولى) حتى وان لم يكن يعرف شـيئا عن صاحب هـذا الضريح •

وهذا قياس فاسد طبعا • فبناء الأضرحة على الأموات ليس دليلا قاطعا على أنهم أولياء وعندما قال الله عز وجل :

(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١)

انما كان يقصد بذلك ــ **« الذين آمنوا وكانوا يتقون » (٢)** •

ولكن عندما قل علم كثير من الناس بتأويل هذه الآية نجد أن كثيرا منهم قد اقتصر فهمه على أن المقصـود بأوليـاء الله الصـالحين هم أموات تلك الأضرحة • وبالرجوع الى علماء التفسير من الصحابة نجـد

---

(١) سورة يونس ٦٢ •

(٢) سورة يونس ٦٣ •

أن الامام ابن عباس وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قالا :ان أولياء الله الصالحين هم الذين اذا رؤوا ذكر الله (١) .

وروى عن أبى هريرة أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء . قلنا من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم . قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ (**ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) رواه أبو داود .

هذا وقد قال الامام القرطبى فى قوله تعالى : (ألا ان أولياء الله لاخوف عليم ....) أى فى الآخرة « ولا هم يحزنون » لفقد الدنيا .

كل ذلك يدل على أن الولاية ليست مقصورة على أصحاب الأضرحة فحسب (ان كانوا حقا أولياء) وانما هى لمن سلكوا طريق المؤمنين واتقوا الله سبحانة وتعالى كما وصفهم لنا فى كتابه العزيز فقال :

(**الذين آمنوا وكانوا يتقون**) .

والمعروف ان الله عز وجل عندما أنزل هذه الآية على رسوله صلى الله عليه وسلم أنزلها ولم تكن تلك الأضرحة قد بنيت بعد ولم يكن أمواتها قد جاءوا الى الدنيا وهذا يدل أيضا على أن الله عز وجل لم يخص فريقا بالولاية دون فريق ولكن باب الولاية مفتوح على مصراعيه لمن اراد الدخول فيه بل ان كل انسان مؤمن يتقى الله سبحانه وتعالى انما هو ولى الله . ولو أن فهم هؤلاء اقتصر على ذلك لهان الأمر ولكن اذا بهم يقيمون الاحتفالات بجوار تلك الأضرحة بعد أن يشدوا الرحال اليها من مشارق الأرض ومغاربها بل تستمر احتفالاتهم أسبوعا وأسبوعين (٢) .

(١) تفسير ابن كثير سورة يونس .

(٢) يرجع تاريخ هذه الاحتفالات الى عهد الفاطميين . فهم الذين ابتدعوا الاحتفال بالمولد النبوى ، مولد امير المؤمنين على بن ابى طالب ، وكذلك مولد الحسن والحسين والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم اجمعين — وهم اللذين ابتدعوا ايضا الاحتفال براس السنة الهجرية وليلة اول شهر رجب وليلة الاسراء والمعراج وكذلك الاحتفال بليلة النصف من شعبان — وقد لقيت هذه الاحتفالات ترحيبا عند العامة وانتشرت بينهم لعدة عوامل منها :

١ — الأمية الدينية لدى الناس فى هذا العصر .

٢ — حرص التجار على حضور هذه الاحتفالات وبالتالى تكون اماكن الاحتفال اشبه بالأسواق .

٣ — حصول الفاطميين على مكاسب سياسية من وراء هذه الاحتفالات نتيجة ابتعاد الناس عن الاشتغال بالأمور السياسية .

وناهيك يا أخى المسلم عما يحدث فى تلك الاحتفالات من أمور رهيبة لا تحصى ولا تعد مساوئها فالكاسيات العاريات فى الطرقات وغيرهن قد وقفن يعرضن أجسادهن للناظرين والناظرات وآخــرون قد نصــبوا موائد القمار علنا وتفننوا فى عدد اللعبات حتى يستولوا على الأموال من كل الاتجاهات وآخرون يطوفون حول ضريح الميت المقبور • وآخرون يتسابقون لوضع النذور لعل وعسى أن يتقبل الميت منهم فيحصل لهم الفرح والسرور • الى أن ترى الرجال والنساء يدورون حول المدفون وقد مدوا أيديهم اليه يسألون مزيدا من البركات لعلهم يفلحون •

ولقد حان الوقت لكشف عقيدة القبوريين فى تلك الأنصاب التى بنيت بوحى من الشيطان •

لقد حان الوقت لكشف تلك العقيــدة التى شــاب عليها الكبار ونشأ عليها الصغار •

لقد حان الوقت لكشف تلك العقيدة التى ليس لها سند من الكتاب الكريم والسنة المطهرة بل لا تتفق بأى حــال من الأحوال مع شرعتنا الغــراء •

ولن يخيفنا كثرة من كانوا عليها فالحجة لمن يأتى بالدليل لا لمن يأتى بالكثرة — اذ يقول الله تعالى **(وان تطــع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله)** (١) •

ويقول تعالى **(وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)** (٢) •

فهل يجوز لمسلم اتباع الضالين المضلين لأنهم كثير ، بل هل يجوز لمسلم اتباع من ادعوا لأنفسهم الايمان وهم على الشرك !

وقد راعيت والحمد لله أن يكون الكتاب الكريم والسنة المطهرة همــا المصدرين الرئيسين للفصل فى هذه القضية وما وافقهما من كلام جمهــور العلماء رضى الله عنهم أجمعين •

---

(١) سورة الأنعام ١١٦ •

(٢) سورة يوسف ١٠٦ •

وانى اذ أقدم للقارىء العزيز هذا البحث انما أقدمه لكى أضع أمامه موقف الاسلام من :

١ — بناء تلك الأضرحة داخل المساجد أو بناء المساجد فوقها •

٢ — الحج اليها والطواف حولها ودعاء أصحابها أو الدعاء بهم •

٣ — النذر والذبح عندها •

قاصدا من ذلك :

١ — ان يجعلنى الله سبحانه وتعالى سببا فى هداية من سلك هذا الطريق الوعر على حسن نية منه •

٢ — أن يكون هذا البحث حجة على من سلك هذا الطريق • ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة •

راجيا من الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه تعالى •

سمير شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريم اتخـــاذ قبـــور الأنبيـــاء والصالحين مساجد

والدليـــــل :

١ ـــ روى الامام مسلم فى صحيحة عن جندب بن عبد الله البجلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قبل أن يمـــوت بخمس وهـــو يقـــول :

(انى أبرأ الى الله أن يكون منكم خليل ، فان الله تعالى قد اتخذنى خليلا ، ولو كنت متخذا خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا ، ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد • الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك) •

فهذا حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى فيـــه عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد • فكيف بمـــن يفعلون ذلك مع من ليسوا بأنبياء بل مع أموات مثلهم كمثل أموات المسلمين ؟ ؟

٢ ـــ عن عائشة وعبد الله بن عباس رضى عنهما قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا أغتـــم كشفها فقال وهو كذلك :

(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مســـاجد) « يحذر ما صنعوا » متفق عليه •

وفى هذا الحديث أيضا يلعن الرسول صلى الله عليه وسلم اليهـــود والنصارى لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد • وهو بذلك يحذر المسلمين من أن يفعلوا ما فعله اليهود والنصارى فتصيبهم اللعنة كما أصابتهم رغـــم ما به من المرض ليدل ذلك على خطورة هذا الأمر وحرصه صلى الله عليه وسلم على تبليغ أمته وتحذيرهم مما يؤدى بهم الى الشرك بالله •

٣ — قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله طى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » ، « ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا ») • متفق عليه •

فهذا الرسول ﷺ الذى كشف الله به الغمة وهدى على يديه الأمة وأخرجها من عبادة الأصنام الى عبادة من لا يغفل ولا ينام هاهو ينهى عن تعلية قبره ويحذر من ذلك خشية أن تتخذه أمته بعد وفاته مسجدا فتصيبهم اللعنة كما اصابت اليهود والنصارى !

فاذا كانت تلك المقامات التى بنيت فوق الأموات فيها تشريف وتعظيم وتكريم لسيرتهم الحسنة ، أما كان أولى بهذا التشريف والتعظيم والتكريم من هؤلاء الخطائين المعصوم صلى الله عليه وسلم ؟

ولكن علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا من أفعال المشركين فنهى المسلمين عن تلك الأفعال •

ورب قائل يقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خص اليهود والنصارى باللعن لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ولم يخص المسلمين بذلك — قلنا له : انظر الى الدليل الثانى ليتبين لك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقصد اليهود والنصارى فحسب وانما كان يوجه كلامه للمسلمين ليحذرهم مما وقع فيه اليهود والنصارى •

والدليل على ذلك قول السيدة عائشة « يحذر ما صنعوا » •

٤ — روى الامام أحمد فى مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد »

والمعنى واضح اذ يبين الرسول صلى اله عليه وسلم • أن شرار الناس هم الذين تقوم عليهم الساعة والذين يتخذون القبور مساجد • سواء كانوا من اليهود والنصارى أو من المسلمين •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى ذلك : أما بناء المساجد على القبور: فقد صرح عامة الطوائف بالنهى عنه متابعة للاحاديث الصحيحة • وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعى بتحريمه وقال : ولا ريب فى القطع بتحريمه ثم ذكر الأحاديث فى ذلك •

وقال ابن تيمية أيضا بخصوص المساجد المبنية على القبور •أوالقبور المبنية على المساجد أنه يتعين ازالتها بهدم أو غيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين •

وقال ابن القيم رحمه الله : يجب هدم القباب التى بنيت على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم • وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما فى القرافة من الأبنية منهم ابن الجميزى — والظهير التزهينى — وغيرهم •

٥ — عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (متفق عليه)

٦ — روى الامام مالك فى الموطأ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد • اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » •

وهذا الحديث يدل أيضا على أن الذى يعكف حول ضريح من الأضرحة فيه شبهة كبيرة من الذى كان يعكف حول وثن من أوثان الجاهلية الأولى — وذلك لأن المشركين ما عكفوا حول الأصنام الا ليتقربوا بها الى الله سبحانه وتعالى • وهكذا الحال أيضا بالنسبة لهؤلاء المتمسلمين فهم يعللون عكوفهم حول الأضرحة بأنهم يتقربوا بما فيها الى الله — ونظرا لاجتماع الشبهات فى الحالتين من حيث — الاعتقاد والتلفظ والعمل واظهار ذلك بين الناس دون خوف أو عقاب من أحد — فانى لا أجد صارف يستدعى التفريق بين الحالتين •

اللهم اذا اجتمعت عنده شبهة دون أخرى فانه يجب التوقف فى الحكم عليه حتى يعلم ما هى الشبهة التى يقع فيها •

فاذا اجتمعت عنده الشبهة الأولى صار بها مشركا حتى وان لـم تجتمع عنده الشبهات الأخرى لأن الاعتقاد لا يكون الا بالقلب — والقلب ليس عليه سلطان الا من الله — قال تعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن » أى من أكره على التلفظ أو العمل أو اظهار الكفر بين الناس • له أن يوافق على ما سبق ذكره — وقلبه مطمئن — أى الى أن ما يتلفظ به أو يفعله أو يظهره أمام الناس ليس هو الحق — هذا بالنسبة لمن يقع تحت الشبهة الأولـى •

أما اذا كان يقع تحت الشـبهة الثانيـة أو الثالثـة أو الرابعـة — أستتيب خشية أن يكون جاهلا !! فان تاب ورجع — عذر بالجهل — فيما كان عليه سابقا — فان لم يتب وأصر على ما هو عليه — علم أنه يعتقد فيما هو قائم عليـه — ومن ثم يعلم أنه مشرك — ولا يصح التوقف فى الحكم عليه — والا مافائدة الاستتابة سابقا

وأخيرا لا أجد أفضل من كلام الحبيب صلى الله عليه وسلم أحتج بـه اذ يقول فى معنى الحديث أنه اذا ما اتخذ قبر ما للعكوف حوله فهو كالوثن الذى يعبد من دون الله حتى لو كان هذا القبر قبره هو صلى الله عليه وسلم » •

وقد أخذ الامام ابن القيـم رحمة الله عليـه هذا الحديث وقال فى معنـاه :

فأجاب رب العالمين دعاؤه وأحاطه بثـلاثة جـدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه فى عـزة وحماية وشقاق

أى أن الله سبحانه وتعالى أجاب دعوته حين قال :

(اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد)

وحمـاه من القبوريين • (١)

---

(١) القبوريين : لفظ يطلق على الذين فتنوا ببعض الأمـوات واعتقدوا فيهم اعتقـاد المشركين فى الأصنام •

كراهـة رفـع القبـور عن الأرض

وليعلم أيضا أن فى تعلية القبور عن الأرض مفاسـد كثيرة لا تخفى على من شم رائحة العلم • ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم يأمر بعدم رفعها عن الأرض حتى لا تكون فتنة وتنقلب الى أوثان تعبـد من دون الله والدليـل على ذلك :

١ ــ عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أعلم قبر عثمان بـن مظعون بصخرة رواه ابن ماجه فى السنن ــ ورواه أبو داود من حديث المطلب بن أبى وداعة وفيه : أنه حمل الصخرة فوضعها عند رأسه وقال : أتعلم قبر أخى وأدفن اليه من مات من أهلى » •

٢ ــ عن جعفر بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « رش على قبر ابنـه ابراهيم ووضع عليه حصباء » رواه الشافعى :

وهذا يبين أنه لو كان فى تعلية القبور فائدة لما حرم النبى صلى الله عليه وسلم ابنه وحبيبه ابراهيم منها ــ وذلك لعـلم الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم ان العمل الصالح هو الذى ينفـع الميت فى قبره فلم يهتموا بتعلية القبور وبنائها بطريقة تنافى الشرع كما هو شائع اليوم عند من أصابتهم عدوى التفاخر بعد أن شـغلتهم المظاهر وألهتهم عن العمل بأصول الدين الحنيف •

٣ ــ عن أبى رافع قال « سل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر سعد بن معاذ ورش على قبره الماء » •

٤ ــ روى أبو بكر النجار عن طريق بن محمد عن أبيـه أن النبى صلى الله عليه وسلم رفع قبره من الأرض شبرا وطينه بطين أحمر من العرصة •

وهذا الحديث يبين جواز تعلية القبور قدر شبر — وهو القدر الذى سمح به الشرع — وبه قال الامام الشافعى والامام الحسن البصرى • الا أن الامام يحيى وأبى حنيفة قالا بكراهة التطيين (١) •

٥ — عن أبن الهياج الأسدى قال : قال لى على رضى الله عنه وكرم الله وجـــه » •

---

(١) لاينبغى لأحد ان يقول بأن قول الامام يحيى وابى حنيفة بكراهة التطيين فيه مخالفة لانهما كرها ماأجازه الرسول ﷺ كما لايصح لأى أحد من العامة ان ينصب نفسه حكما على العلماء عامة وأصحاب المذاهب خاصة فى المسائل التى اختلفوا فيها فيرجح قول احــدهم على الآخر • او يحكم بأن صاحب المذهب اخطأ فى كذا او اصاب فى كذا الا اذا كان على علــم بالأسباب التى توجب الخلاف بينهم — وذلك لآن المسائل التى اختلفوا فيها محصورة بــين ست أمور هى :

أولا : ان أحدهم قد يتكلم بحديث لم يصل الى الآخر • فيبنى الأول حكمه بناء على الحديث ويبنى الآخر حكمه بناء على ماعنده من الأدلة الاخرى •

ثانيا : ان يجتهد أحدهم فيما اجتمع عنده من الأدلة سواء كانت هــذه الادلة مبنيه على الأحاديث او الأقوال المــأثورة — فيرجح قول على قول — ومن هنا يظهر الخلاف •

ثالثا : ان يختلفوا فى تأويل بعض الآيات والأحاديث من حيث الالفاظ الواردة فيها فيبنى كل منهما حكمه على ماأهتدى اليه من التأويل فيما يخص هذه المسألة •

رابعا : ان يكون هناك مسألة ما جمعت بين الجائز والمكروه — فيقال بكراهتها ككل لمــا تضمنته من مكروه — وذلك سدا للذريعة • وربما تكون المسألة السابقة من هذا النوع • كأن يكون الامام يحيى وأبى حنيفة قالا بكراهة التطيين بناء على أن القبور فى زمان كل منهما كانت أعلى من القدر المشروع وكانت رغم ذلك تطين • فقالا بكراهه التطيين مع تعلية القبور •

خامسا : أن يقول أحدهم بما يخالف الحديث فى المسائل الفرعية التى لا تمس العقيدة رغم علمهم بصحة الحديث وتأويله لحكمة تقتضيها الظروف التى يعيشها صاحب القول — كأن يكون الناس فى زمانهم أقرب الى الفتنة بشىء مافيقال بكراهة كل ما يؤدى الى الافتتان به سدا للذريعة — وهذا من الحكمة — وفى نفس الوقت لا يقول غيره بذلك لأنه لايجد أمامه مايحمـــله على أن يخالف ماعنده من الادلة الثابتة •

سادسا : أن يكون أحدهم وقف على الناسخ والمنسوخ فى مسألة ما — ولم يقف الآخر عليها — فيبنى الأول حكمه على آخر حديث قيل فيها ويبنى الآخر حكمه على ماوقف عليه من الأدلة السابقة •

تنبيه : لو علم أن هناك عالم ما خالف الكتاب والسنة — او خالف الاجماع ضرب برأيه عرض الحائط — واخذ بما يتفوقمع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ او بما اجمع عليه جمهور العلماء ولايغتر باسمه وشهرته بين الناس وذلك لان الرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالرجــال :

هذا وليعلم أن العالم اذا اجتهد فأصاب له اجران — واذا اخطأ فله اجر واحد — على ان لا يعمل برأيه لثبوت مخــــالفته للكتاب والسنة او لمــا اجمع عليه جمهور العلماء •

ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا تدع تمثالا الا تمسطه ولا قبرا مشرفا الا سويته » أى سويته بالأرض — رواه الجماعة الا البخارى وابن ماجة (١) •

٦ — روى الامام مسلم فى صحيحه عن هارون أن ثمامه بن شفى حدثه قال كنا مع فضاله بن عبيد بأرض الروم (برودس) فتوفى صاحب لنا فأمر فضاله بن عبيد بقبره فسوى ثم قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها » •

٧ — روى الامام مسلم أيضا فى صحيحه عن جابر قال : « نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه » •

قال الامام الشوكانى فى ذلك « والظاهر أن رفع القبور على القدر المأذون فيه محرم وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة الشافعى ومالك •

والقول بأنه غير محظور لا يصح • لأن غاية مافيه أنهم سكتوا عن ذلك ، والسكوت لايكون دليلا اذا كان فى الأمور الظنية وتحريم رفع القبور ظن •

ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القباب والمشاهد المعمورة على القبور ، وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن الرسول ﷺ فاعل ذلك •

---

(١) ولما كان القبوريون أهلا للجدال بسبب حميتهم وعصبيتهم العمياء لعادات الجاهلية • فانهم لم يكتفوا بما ورد من أدلة ثابتة كافية شافية بالنسبة لتعلية القبور فوق الأرض • ولهم شبهه يحتجون بها على من ينكر عليهم بنائهم للاضرحة والمقامات فوق من فتنوا بهم من الأموات اذ يقولون : ان قبر الرسول ﷺ قد بنى عليه قبة كبيرة ولو كان بناء هذه القبة حرام مابنيت ويقال لاصحاب هذا القول •

أولا : ان الأصل فى فعل الشىء أن يكون مشروعا • لا أن يتم فعله ثم يؤخذ به لانه قد حدث •

ثانيا : ان هذه القبة المبنية على قبره ﷺ ليس لبنائها دليل شرعى لانه ﷺ هو نفسه الذى أوصى بعدم رفع القبور عن الأرض وأمر بتسويتها بما فى ذلك قبره كما فى الحديث رقم (٣) • وليعلم أنه لم يتم بناء هذه القبة فى عهد الصحابة وتابعيهم لانهم كانوا أعلم بما أثر عن الرسول ﷺ بعدم تعلية القبور عن الأرض — ولكن تم بناء هذه القبة فى عهد بعض ملوك مصر وهو — (قلاوون الصالحى) المعروف بالملك المنتصر فى سنة ثمانى وتسعة وستمائة وذلك لأهداف سياسية لادينية •

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكى لهـا الاسلام • منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار فى الأصنام ، وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهـم وشدوا اليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا •

وبالجملة : أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه • فانا لله وانا اليه راجعون •

ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا تجد من يغضب لله ، ويغار حميه للدين الحنيف لا عالما ، ولا متعلما ، ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا • وقد توارد الينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصم ، حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك ، بشيخك الولى الفلانى تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالخف ، وهذا من أبين الادلة الدالة على أن شركهم قد بلغ قوله شرك من قال انه تعالى ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة •

فيا علماء الدين ويا ملوك الاسلام أى رزد للاسلام أشد من الكفر وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عباده غير الله ، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة وأى منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين •

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لاحياة لمن تنادى
ولو نارا نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى رمـاد

وقال ابن حجر فى الزواجر : وتجب المبـادرة لهدم المسـاجد والقباب التى على القبور اذ هى أضر من مسجد الضرار ! ، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة • وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا يصح وقفه أو نذره •

وقال الامام بن حزم : لا يحل أن يبنى القبر ولا يجصص ولا أن يزاد على ترابه شىء ويهدم كل ذلك •

فاذا علم من الأحاديث السابقة وفتوى جمهور العلماء بما فيهم الامام الشافعى وأحمد ومالك وأبى حنيفة أنه ليس من الهدى الصحيح ولامن الشرع الحنيف تعلية القبور عن الأرض فكيف بمن رفعوها قدر ذراعين وأكثر ؟ ومن أين أتوا بالأدلة التى تجيز رفع القبور بهذه الطريقة والمسماة بمقامات أولياء الله الصالحين ؟

هل يبعث الميت من جديد داخل هذا القبر فيقوم ليملأ الفراغ الموجود داخل المقام ؟

أم كان فى عهدهم من مات صلبوه وبنوا حوله القبر فيكون الدفن قد تم على طريقة الوضع واقفا ؟ فان لم يكن هذا ولا ذاك فلماذا اذا الوقوف أمام هذا العمود والتمسح فيه والطواف حوله والصراخ والعويل بجواره ؟

« النهى عن ايقــاد السرج على المقــابر والكتابة عليهــا

قد نهى الرسول ﷺ أيضا عن ايقاد السرج ولعن من يفعل ذلك والدليل :

١ — مارواه الامام أحمد وغيره فى السنن عن ابن عباس أنه قال :

(لعن الرسول ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليهــا المســاجد والسرج) •

ونهى أيضا عن الكتابة عليها والدليل :

مارواه أبو داود والترمذى عن جابر رضى الله عنه أن رسول ﷺ « نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها » •

ومعلوم أن الكتابة هنا كانت مجرده من شبهات الشرك• اذ لو كانت مخلة بعقيدة المسلم لكان التحريم أقرب من النهى • والظاهر أن الكتابة هنا عبارة عن اسم الميت ونسبه وما الى ذلك بطريقة الزخرفة مما لم يأذن فيه الشرع لأن ذلك قد يؤدى الى التعظيم والتفاخر والفتنة بالأموات وان كانت هى السبب الرئيسى للنهى — والله أعلم —

قال العالم الربانى ابن القيم فى هذا الباب مانصه :

فانظر الى هذا التباين العظيم بين ماشرعه رسول الله ﷺ وقصده :

من النهى عما تقدم ذكره فى القبور ، وبين ماشرعه هؤلاء وقصدوه•

ولا ريب أن فى ذلك المفاسد مايعجز العبد عن حصره •

فمنها : تعظيمها الموقع فى الافتنان بها•ومنها اتخاذها عيدا — ومنها السفر مشابهة عبادة الأصنام بما يفعل عندها : من العكوف عليهــا ،

---

(١) قال الشيخ ناصر الدين الألبانى «ضعيف» الا أن هناك شواهد للجملة الأولى والثانية — وعلى هذا الأساس فقد ذكرته .

والمجاورة عندها • ومنها تعليق الستور عليها وسدانتها ، وعبادها يرجون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد ، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها •

ومنها: النذر لها ولسدنتها •

ومنها: اعتقاد المشركين أن بها يكشف البلاء وينصر الأعداء ويستنزل غيث السماء • وتفرج الكروب وتقضى الحوائج وينصر المظلوم • ويجار الخائف الى غير ذلك •

ومنها: الدخول فى لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وايقاد السرج عليها •

ومنها: الشرك الأكبر الذى يفعل عندها •

ومنها : ايذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم مايفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة • كما أن المسيح يكره ما يفعله النصارى عند قبره •

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم • ويوم القيامة يتبرؤن منهم • كما قال تعالى :

(ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (١) ؟ قالوا سبحانك ماكان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) قال الله للمشركين (٢) •

(فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا) (٣) •

وقال تعالى :

(واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق (٤)) •

(١،٢،٣) الفرقان — ١٧ ، ١٨ ، ١٩ •

(٤) المائدة — ١١٦ •

وقال تعالى :

« ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون (١) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » (٢) .

ومنها : مشابهة اليهود والنصارى فى اتخاذ المساجد والسرج عليها .

ومنها : محاداة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها .

ومنها : التعب العظيم مع الوزر الكثير والاثم العظيم .

ومنها : اماته السنن واحياء البدع .

ومنها : تفضيلها على خير البقاع وأحبها الى الله . فان عباد القبور يعطونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى مالا يفعلونه فى المساجد ولا يحصل لهم فيها نظير ، ولا قريب منه .

ومنها : أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد ودين الله الذى بعث به رسوله يضد ذلك ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد وأخربوا المساجد .

ومنها : أن الذى شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور : انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه ، والاستغفار له ، وسؤال العاقبة له فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاوه به ، وسؤاله حوائجهم واستنزال البركات منه ، ونصره لهم على الأعداء . ونحو ذلك .فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن الا بحرمانه بركة ماشرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له ....

(١، ٢) سبأ : ٤٠ — ٤١ .

النهـى عـن الصـلاة عنـد القبـور

١ ـ وليعلم أيضا أن الصلاة عند القبور قد نهى عنها وأنه لا يصح لرجل أن يتحراها ويصلى عندها • والدليل ما رواه الامام البخارى فى صحيحة أن عمر بن الخطاب رأى أنس بن مالك يصلى عند القبر فقال له « القبر • القبر » ويفهم من ذلك أن عمر بن الخطاب والصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم علم مسبق بالتحريم والدليل انه عندما صاح عمر بن الخطاب قائلا لأنس « القبر • القبر » لم يصر أنس على ماكان عليه بل تنبه وابتعد ليدل ذلك أيضا على أن الصحابى أنس بن مالك لم يتعمد الصلاة عنده • ويحمل ذلك على أنه لم يرى القبر •

٢ ـ وروى الامام مسلم فى صحيحه عن أبى مرثد الغنوى أن رسول الله ﷺ قال : « **لاتصلوا الى القبر ولا تجلسوا عليها** •

قال المناوى فى فيض القدير : أى مستقبلين اليها لما فيه من التعظيم البالغ لأنه من مرتبة المعبود •

والى ذلك ذهب الامام النووى حيث قال فى تعليقه على هذا الحديث « فيه دليل على تحريم الصلاة الى القبر لظاهر النهى » •

وقال الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعانى فى (سبل السلام) تعليقا على هذا الحديث أيضا « •••• وفيه دليل على النهى عن الصلاة الى القبر كما نهى عن الصلاة على القبر والأصل التحريم ولم يذكر المقدار الذى يكون به النهى عن الصلاة الى القبر والظاهر أنه ما يعد مستقبلا له عرفا •

ومن ثم فانه يجوز للمسلم أن يصلى اذا كان القبر عن يمينه أو يساره او خلفه • ولايجوز له ان يصلى على القبر ان كان مسوى بالأرض • كما لايجوز له أيضا أن يصلى الى القبر ـ أى يكون القبر بينه وبين القبلة ـ وذلك لما فى الحديث السابق ذكره ورواية أنس بن

مالك رضى الله عنه . اما بالنسبة لهذه الاضرحة والتى بنيت داخل حجرات خاصة خارج المساجد فلا يجوز الصلاة فيها على الاطلاق . سواء كان المصلى على يمين أو يسار أو خلف القبر وذلك لأنه ترك ساحة المسجد والتى ماجعلت الا للصلاة وتعمد الحجرة التى بها الضريح ليصلى عندها، فيكون عدم الجواز هنا من قبيل اتخاذ المقبرة مسجد .

أما اذا تعمد أحد الصلاة فى الحجرة التى بها الضريح لأجل التماس البركة . أو لاعتقاده بأن صلاته فى الحجرة أفضل لأجل وجود — المقبور — فيها فهذا هو عين الشرك بلا خلاف ولبسط الكلام فى هذه المسألة فقد أفردنا لها بابا خاصا كما سيأتى باذن الله .

النهى عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة

قد نهى الرسول ﷺ عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة وهى (المسجد الحرام ، ومسجده ﷺ ، والمسجد الأقصى) والدليل ماروى فى الصحيحين عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال :

(لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد • المسجد الحرام — ومسجدى هذا والمسجد الأقصى) أى لا ينبغى لمسلم أن يشد الرحال لغير المساجد الثلاثةويعتمد الصلاةفيها دون غيرها من المساجد لأن ذلكمخالفة صريحة لهدى الحبيب ﷺ ومعصية لله ولرسوله ولأن من يفعل ذلك أيضا فهو من الذين خاطبهم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم فقال لهم :

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) (١) وتبين الآية السابقة ان المساجد انما جعلت لعبادة الله وحده فلا ينبغىأن يشوب هذهالعبادة شركبالله — وهوما عليه القبوريون الآنلأنهم هجروا بيوتالله المجاورة لهم وشدوا الرحال الى بعض المساجد المقبورة — بل ويحفظون مواعيد الاحتفال بأموات هذه الأضرحة ويحرصون كل الحرص أن لا يتخلفوا عنها • وذلك لاعتقادهم بأن المتخلف عن الحضور مطرود من رحمة الميت — وأيضا لما يحكى لهم أن فلانا من مريدى الميت تخلف عن الحضور سنة كذا فحدث له كذا وكذا فيخشى غيره من التخلف خوفا من أن يصيبه الميت بخوف وجوع ونقص فى الأموال والأنفس والثمرات •

فثم رأيت هؤلاء فاعلم أنهم المقصودون بقول الله تعالى :

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) •

ودليلنا على ذلك أن هؤلاء لو كانوا يعبدون الله وحده لما هجروا تلك المساجد المجاورة لبيوتهم والتى ماجعلت الا للعبادة•وقصدوا غيرها

---

(١) سورة الجن — ١٨ •

من المساجد المقبورة. والظاهر فى هذا الأمر أنهم ماقصدوا تلك المساجد لعبادة الله وحده . ولكن ماقصدوها الا لما فيها من الأموات يعتقـــدون فى نفعهم وضرهم . والا لماذا سافروا اليها بعد أن تحملوا عناء السفر ومشقته ؟ وفيما يلى بيان الأدلة التى تدل على كراهة شد الرحال لغير المساجد الثلاثة :

١ — روى الامام أحمد وعمر بن شبه فىأخبار المدينة باسناد جيد عن قزعه قال : أتيت عمر فقلت : أنى أريد الطور ، فقال : انما تشـــد الرحال الى ثلاثة مساجد (المسجد الحرام — ومسجد المدينة — والمسجد الأقصى) فدع عنك الطور ولا تأتيه ..

٢ — وروى الامام مالك فى الموطأ عن بصره بن أبى بصره الغفارى أنه قال لأبى هريرة وقد أقبل من الطور (لو أدركتك قبل أن تخرج لمـــا خرجت سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تعمل المطى الا ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدى هذا — والمسجد الأقصى) .

٣ — روى المعرور بن سويد قال : صليت مع عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه فى طريق مكة صلاة الصبح فقرأ فيها .

« **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** » ،« **لايلا فقريش ..** ».

ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال : أين يذهب هـؤلاء فقيل : يأمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فهم يصلون فيه قال : انما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا . كانوا يتبعـــون آثار أنبيـــائهم ويتخذونها كنائس وبيعا . فمن أدركته الصلاة فى هذه المساجد فيلصلى ومن لا فليمضى ولا يتعمدها . فهذه ثلاث روايات من تمعن فيها ووقف على ابعادها نفعه بالله بثمانى فوائد عظيمة هى :

أولا : أن النهى عن شد الرحال لم يكن خاصا بما عدا المســاجد الثلاثة فحسب وانما لغيرها من المساجد التى يتعمد الناس الذهاب اليها وهذا واضح فى رواية عمر رضى الله عنه ورواية بصرة بن أبى بصرة — واللذان أعتبرا أن الذهاب الى الطور — هو من قبيل شد الرحال لغير المساجد الثلاثة .

ثانيا : سد أبواب الفتنة أمام المسلمين وهذا واضح فيما فعله أمير المؤمنين رضى الله عنه وذلك عندما أمر بقطع الشجرة التى بايع

رسول الله ﷺ تحتها الصحابة — هذا لمجرد أنه علم أن بعض الناس يذهبون اليها •

ثالثا : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه — أوصى المسلمين بألا يتعمدوا الصلاة فى مسجد كان أشرف الخلق محمد ﷺ قد صلى فيه — مع أن هذا المسجد لم يكن فى بلد آخر ! ! وانهم لم يذهبوا اليه لأن به قبرا يتبركون به — أو لأن الرسول ﷺ كان يصلى فيه فتحصل لهم البركة بذلك !!

رابعا : ان الذين نهاهم أمير المؤمنين رضى الله عنه عن الذهاب الى مسجد رسول الله ﷺ لو أنهم لم ينتهوا وأصروا على الذهاب لأدى بهم ذلك الى الهلاك بسبب مخالفتهم لأمير المؤمنين واتباعهم لهدى الضالين المضلين والا ما معنى قول أمير المؤمنين (انما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا) •
رابعا : ان سبب هلاك الأمم من قبل يرجع الى أنهم كانوا يتعمدون أماكن أنبيائهم وصالحيهم ويذهبون اليها •

خامسا : ان سبب هلاك الأمم من قبل يرجع الى أنهم كانوا يتعمدون أماكن أنبيائهم وصالحيهم ويذهبون اليها •

سادسا : ان الذين يخصصون مساجد المقبورين اليوم والتى يفوح منها رائحة الشرك دوما ويتعمدون الذهاب اليها ويرتكبون عندها كبائر الذنوب باسم (صاحب الفرح) أولى بالخسران والهلاك من قوم كان الهلاك والخسران أقرب لهم لمجرد أنهم (تعمدوا) الصلاة فى مسجد كان الرسول ﷺ قد صلى فيه •

سابعا : أن أرض الله سبحانه وتعالى كلها صالحة للعبادة — فمن تعمد بقعة معينة معتقدا أن عبادته لله فيها أفضل من عبادته فى غيرها (لأجل البقعة) الا المساجد الثلاثة — فهو من الذين دعوا غير الله •

ثامنا : انه بالنظر فيما كان عليه السلف الصالح وتابعوهم باحسان — وبالنظر فيما عليه كثير من الخلف — تبين له صدق الرسول ﷺ حين قال — : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء — ووقف على المعنى الحقيقى للحديث — وعلم ماهية الغرابة فيه ولماذا دعى الرسول ﷺ للغرباء •

الوثنيـــة فى ثوبهـــا الجــديد

أعلم رحمك الله أن الشيطان له من الحيل مايســـتطيع بها تغيير قلوب الناس من التوحيد الخالص لله الى الشرك والكفر أو على الأقل من الطاعة الى المعصية وما حدث بين آدم عليه السلام والشيطان ليس ببعيد عنا • فحين أراد الشيطان لآدم الخروج من الجنة كان على علم بأن ذلك لن يحدث الا اذا صور له المعصـــية فى قالب آخـــر • حيث قال له **(هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)** ولم يقل له هل أدلك على شجرة اذا أكلت منها ظهرت سوأتك وخرجت من الجنة • وذلــــك لأن الشيطان كان على علم بأن آدم عليه السلام لن يطيعه حـــين يقول له ذلك•فلما أكل آدم وزوجته من الشجرة ظهرتسوأتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فاستحقا بذلك الخروج منها •

وهذا الاسلوب الذى يتبعه الشيطان مع من يضلهم من المسلمين لم ولن يتغير أبدا لكنه يستخدمه بصور مختلفة • فمثلا لمـــا كان الشيطان يريد لضعاف العقيدة وضعاف الايمان الشرك بالله فانه كان على علم بأنه لن يستطيع أن يجعل المسلم يشرك شركا ظاهرا بحيث يعلم العامة قبل الخاصة بأن هذا شرك ومروق من الدين ـ والا نبهه غيره الى ما وقـــع فيه ـ ولكنه أصبح يزين لهم الشرك والكفر فى صور أخرى تخفى على من يضلهم من الجهال بتعاليم هذا الدين والأصول التى بنى عليها • فكم من قرى كانت آمنة مطمئنة يأتيها الرزق من كل مكان شاكرة لأنعم الله فكفرت فأخذها الله بكفرها •

والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنةمطمئنة يأتيها رزقها رغدا منكل مكان فكفرتبأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » (٢) •

---

(١) سورة النحل ـ ١١٢ ـ ١١٣ •

وهاهم رجال كانوا يقولون لا اله الا الله ويشهدون بنبوة محمد ﷺ ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون (وفوق ذلك) يجاهدون مع النبى ﷺ ونزلت الآيات تقول بكفرهم وذلك لمجرد أنهم تقولوا فيما بينهم بكلام ظنوا أنه مزاح وتسلية يقطعون به الطريق والدليل قول الله تعالى (**... قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن — لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ...**) (١) أى لا تعتذروا عما بدر منكم قد كفرتم بما تقولتم به بعد أن كنتم مؤمنين . فهؤلاء أيضا ما وقعوا فى الكفر الا لأن الشيطان قد زين لهم الكفر فى صورة المزاح والتسلية فى الطريق . وتأمل رحمك الله الى أن الله سبحانه وتعالى لم يقبل عذرهم حين تنبهوا الى خطورة ما وقعوا فيه ليدل ذلك على أن هناك كفر لا تصح التوبة منه (٢) .

وقد نبهنا الله تعالى الى أن هناك من يقع فى الضلال والشرك والكفر وهم مع ذلك لا يشعرون بما وقعوا فيه والدليل قول الله تعالى (**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**) (٣) فهؤلاء أيضا ماظنوا أنهم على الحق الا لأن الشيطان قد زين لهم الضلال والخسران فى صور الطاعة — لدرجة أنهم خسروا كل أعمالهم — وهم مع ذلك الخسران الذى يؤدى بهم الى نار جهنم — يظنون أنهم على الحق !

وكذلك أيضا فالذين نحن بصددهم فى هذه الرسالة قد وقعوا فى الشرك وهم لا يشعرون . حيث أظهر الشيطان لهم الأصنام والأحجار فى

---

(١) سورة التوبة — ٦٥ — ٦٦ .

(٢) قال الامام ابن كثير فى أسباب نزول هذه الآية : قال عبد الله بن وهب : أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن عبد الله ابن عمر قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس . مارأينامثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونا . ولا أكذب ألسنا . ولا اجبن عند اللقاء . فقال رجل فى المسجد . كذبت ولاكنك منافق لاخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو . وانا رايته متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكب الحجارة وهو يقول : يارسول الله « انما كنا نخوض ونلعب » ورسول الله ﷺ يقول « أبا بالله وآياته كنتم تستهزؤن .. » فتأمل رحمك الله مرة أخرى — الى أن الاستهزاء بصحابة رسول الله ﷺ انما هو استهزاء بالله وآياته — لنعلم من هذ ايضا أن الاستهزاء بالمسلم لاجل اسلامه او لأجل التزامه بما شرع الله — كفر — « خاصة فى الأمور التى علم انها من الدين بالضرورة »

(٣) سورة الكهف — ١٠٣ ، ١٠٤ .

قالب الأضرحة والمقامات • وأظهر لهم الفسـق والفجور والزندقة فى صور الاحتفال بأموات هذه الأضرحة تشريفا وتكريما لهم • وأظهر لهم دعاء الأموات من دون الله أو دعاء الله بالأموات فى صورة أن هؤلاء لهم عند الله منزلة عالية وأن الله لايرد دعـاء من يلجأ اليه عن طريقهم — فتراهم يقولون على سبيل المثال يابدوى — يارفاعى — يادسوقى — ياأبا العينين — ياطاهرة — ومصيبة هؤلاء أنهم بعد أن دعوا الأموات من دون الله يظنون أنهم مسلمون واغتروا بأنهم يقولون لا اله الا الله وفاتهم أن المشركين والكفار كانوا يقولونها ورغـم ذلك لم يدخلـوا الاسلام •

والدليل قول الله تعالى : « **قل من يرزقكم من السماء والأرض — أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخـرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون** » (١) • **قل لمن الأرض ومن فيها أن كنتم تعلمون • (٨٤) سيقولون لله قل أفـلا تذكرون • (٨٥) قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم •(٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون • (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شىء وهـو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمـون • (٨٨) سـيقولون لله قل فأنى تسحرون** » (٨٩) (٢) •

فهؤلاء المشركين والكفار كانوا يعلمون بأن الله هو وحده الرازق وهو وحده الذى يملك السمع والأبصار وهو وحده الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى — وهو وحده الذى يدبر الأمر — كما يشهدون بأن الأرض ومن فيها لله الواحد القهار — ويشهدون بأن رب السموات والأرض بيده كل شىء — وبرغم كل هذه الصفات التى توفرت فيهم فانهم لم يدخلوا بها فى الاسلام — وذلك لأن توحيدهم لله — لم يكن كاملا — حيث أنهم لم يجمعوا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصـفات — ولكنهم كانوا مقرون بتوحيـد الربوبية فقط — وهذا لا يكفى للدخول فى الاسلام — لأنه يتعين على الذى يؤمن

---

(١) سورة يونس ٣١ •

(٢) سورة المؤمنون ٨٤ — ٨٩ •

بأن الله هو وحده الخالق أن يعبده ولا يشرك به شيئا ويتعين على الذى يؤمن بأن الله هو وحده الرازق — أن لا يطلب الرزق منـــه عن طريق الوسائط — ويتعين على الذى يؤمن بأنه وحده على كل شىء قدير — أن لايستعين الا به .

والعجب كل العجب من هؤلاء الذين اغتروا بقـــولهم لا اله الا الله — اذ كيف فاتهم أيضا أن الذين كانوا يعبدون الأصنام فى عهد الرسول ﷺ كانوا أيضا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى والدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ حين دعاهم الى عبادة الله وحده — وترك ما يعبدون من دونه — ما كان ردهم عليه الا أن قالوا : (مانعبدهم) وذلك لعلمهم بأن الله هووحده المستحق بالعبادة لأنه وحـــده النافع والضار — وهو وحده المعطى والمـــانع — وهو وحده المحى والمميت — والا ما معنى أنهم يدعونه لكشف مابهم من الكروب عن طريق الوسائط ؟ .

ورغم ذلك فقـــد عرفوا بعباد الأصنام — هذا بدليـــل الآيـــات والأحاديث الواردة فى ذلك مع أن ظاهر كلامهم يقول بأنهم لا يعبدونهاـــ ولكن — فقط — يتقربون الى الله بها بدليل قول الله تعالى « **مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** » وهذا دليل واضح يبين أن من يتوسل الى الله بميت — ويعتقد فى أن هذا الميت ينفعه أو يضره ماهو الا عابد لهذا الميت — لأن دعاء الله سبحانه وتعالى عبادة والعبادة لا تكون الا لله فمن صرف منها شيئا لغير الله يكون بذلك قد أشرك مع الله هذا الشىء الذى صرف العبادة له ولهذا يســـمى مشرك ولا يغتر بما هو عليه من قـــول لا اله الا الله وصلاة وصيام وزكاة وحج وما الى ذلك من أعمال الدين — لأن القاعدة الفقهية تقول (أن من أنكر شيئا معلوما من الدين بالضرورة فهو كافر) وبالتالى لاينفعه أى عمل يقوم به ودعاء الله وحده — أمر معلوم من الدين بالضرورة — وركيزة من الركائز التى يقوم عليها هـــذا الدين — فتأمل رحمك الله اذا ما أنكر المسلم المؤمن شـــيئا معلوما من الدين بالضرورة صار كافرا أما يكون الكفر أقرب اليه اذا ما أنكر أصل هذا الدين وهو توحيد الله رب العالمين ؟ .

أما وقد تتطرق بنا الحديث عن الشرك وأحوال المشركين قبل أن

يشركوا وبعد أن أشركوا — وكيف أن الشيطان زين لهم الشرك وأوقعهم فيه وهم لايشعرون — كان لابد من وقفه نبين فيها بعون الله سبحانه وتعالى وتوفيقه كيف حدث أول شرك على وجه هذه الأرض — فنقول مستمدين العون من الله .

ان أول شرك حدث على وجه الأرض كان فى عهد نوح — عليه السلام وكان سببه أيضا الغلو فى الصالحين . ولم يحدث ذلك مباشرة بل تم فى عهود مختلفة فبعد أن ماتوا هؤلاء الصالحين قال بعضهم : لو صورناهم كان ذلك أشوق لنا الى العبادة حين نتذكرهم فلما ماتوا هؤلاء الذين صوروهم جاء غيرهم وقد فتنهم الشيطان فوسوس لهم أن من كان قبلهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فلما كان هذا هو حالهم — أرسل الله سبحانه وتعالى نوح عليه السلام — ليدعوهم الى عبادة الله وحده ويتركوا هذه الأصنام فما كان من هؤلاء الا أن مكروا بدعوته . ويقول الله تعالى فى ذلك على لسان نوح عليه السلام :

« قال نوح رب أنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا » (١) ومكروا مكرا كبارا (٢) . وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا (٣) .

قال ابن جرير (وكان من خبر هؤلاء فيما بلغنا وما حدثنا به ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس : أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم وكان أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم . فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر وقال بعض السلف (كان هؤلاء قوما صالحين فى قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) .

اذن يتضح من ذلك أن هذه الأصنام التى عبدت من دون الله انما كانت فى الأصل لقوم صالحين فاذا علمنا ذلك علمنا أيضا أن الغلو فى الصالحين قد

(١ ، ٢ ، ٣) سورة نوح ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

يصيرهم أوثانا تعبد من دون الله وليس ذلك ببعيد عنا . والدليل على ذلك ما يفعله القبوريون الآن عند الأضرحة من أفعال لا تختلف تماما عما كان يفعله المشركين والكفار فى الجاهلية الأولى . بل أن القبوريين فى زماننا هذا أشـد فحشا وجرما عن المشركين الذين بعث اليهم الرسول ﷺ ليدعوهم الى التوحيد بدليل أن المشركين فى الجاهلية كانوا يدعون الله فى الضراء ويشركون به فى السراء والدليل قول الله تعالى **« قـل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لأن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (١) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتـم تشركون » (٢)** .

أى أن هؤلاء المشركين كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بأنه سميع عليم مجيب الدعوات ويؤمنون أيضا بأن الله هو وحده المستحق بالحمد والشكر ولذلك كانوا يدعونه تضرعا وخفية . ولكن عندما يستجيب لهم الله وينجيهم ينسبون النجاة الى غيره فلهذا أصبحوا فى تعداد المشركين والكفار ولم ينفعهم ايمانهم بالله . وقال تعالى فى غيرهم : **« فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصـين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هـم يشركـون » (٣)** فهؤلاء أيضا بلغ ايمانهم الى درجـة الاخلاص وهو أعلى منزلة فى الايمان وليس بعده شىء .

فكلما انقطعت الأسباب عن الانسان كلما كان مخلصا فى دعوته . وهؤلاء المشركين كانوا فى البحر بعيدا عن أسباب النجاة فدعوا الله رب الأسباب فلما نجاهم الله تعالى نسبوا النجاة لغيره فلذلك كانوا مشركين ولم يدخلوا فى الاسلام مع أنهم دعوا الله مخلصين له الدين من قبل . وأفردوه سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية فى نفس الوقت ويرجـع عدم دخولهم فى الاسلام رغم هذه الصفات الحميدة الى أنهم أشركوا بعد ما كانوا عليه من الايمان بالله والاخلاص له فى الدعاء !

ولذلك قال الله تعالى محذرا المؤمنين من الشرك : **« ولو أشركـوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون » (٤)** رغم أن المقصودين بهـذا التحذير

(١، ٢) سورة الأنعام ٦٣ — ٦٤ .
(٣) سورة العنكبوت ٦٥ .
(٤) سورة الأنعـام ٨٨ .

الشديد كانوا عبادا لله بمعنى الكلمة وكانوا مخلصين له فى العبادة بمعنى الاخلاص • الا أن كل ذلك لا ينفعهم — لو أنهم أشركوا بالله بعد ذلك — ويلاحظ أن كلمة (لو) هنا تفيد أنه وقت أن يشركوا بالله ستحبط كل أعمالهم التى اجتهدوا زمنا طويلا فيها برغم مايكون فيها من صلاة وصيام وزكاة وحج واجتهاد فى النوافل ومعلوم أن القائم على هذه الأعمال باخلاص لله تعالى هو من أهل الجنة باذن الله — كما بين سبحانه وتعالى ذلك فى كتابه العزيز فى كثير من الآيات • لكن اذا أشرك بعد ذلك بالله كأن يعتقد فى ان الميت ينفع ويضر أو له تصرف فى الكون أو يستطيع قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو أن التوسل به الى الله يزيل الهم ويبعد الغم ويفك الكرب • فان من يعتقد فى هذه المعتقدات أو تجتمع عنده واحدة منها فانه خرج من التوحيد الى الشرك ومن الاسلام الى الكفر (هذا ان أصر على ما هو عليه بعد أن يستتاب) ولا ينفعه أى عمل يقوم به حتى لو كان عابدا لله آناء الليل وأطراف النهار — فالخوارج كانوا أكثر عبادة من الصحابة والمؤمنين فى عهد رسول الله ﷺ ورغم ذلك لم يكونوا على الهدى الصحيح لأتباعهم غير سبيل المؤمنين لتكون العبرة فى النهاية لمشروعية العبادة ومدى اخلاصها لله وليس بكثرتها ومن ذلك يتضح أيضا أن الشرك الذى أشرنا اليه سابقا ليس بمعصية فحسب وانما هو كفر مضيع لما قبله من الأعمال ومسبب فى احباطها بالكلية — فان تشابهت عليك هذه المسألة كان لابد أن نذكر لك مسألة أخرى أقل من السابقة فى ظاهرها قد تحبط الأعمال لمن يقع فيها أيضا حتى لو كانت مثل زبد البحر أو تزن جبل أحد — ودون أن يشعر صاحبها لسهولة الوقوع فيها أو عدم الانتباه لها واقرأ معى قول الله تعالى « **يأأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** » (١) •

فاذا علمت من هم المقصودون بهذا التحذير الشديد والانذار المخيف — تعجبت • انهما الشيخان أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما — أبا بكر الصحابى الأول للرسول ﷺ — وعمر الذى قال فيه

---

(١) سورة الحجرات ٢ •

الرسول ﷺ لو كان نبى بعدى لكان عمر — فان كنت لا تصدق فتعالى معى الى أصح كتب الحديث وهو كتاب صحيح البخارى حيث قال فى الصحيح حدثنا يسره بن صفوان اللخمى حدثنا نافع بن عمر عن ابن مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ حين ركب عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضى الله عنه أخى بنى مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ماأردت الا خلافى قال ماأردت الا خلافك فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل الله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتم لاتشعرون** » (١) قال ابن الزبير رضى الله عنه فما كان عمر رضى الله عنه يسمع من رسول ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه — ولم يذكر ذلك عن أبيه يعنى أبا بكر رضى الله عنه •

فاذا علمت أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن فى أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما — مهددا اياهما باحباط أعمالهما وهما لا يشعران لمجرد أنهما رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ تحققت وتأكدت أن من لم يرضى بحكم الرسول ﷺ فيما جاءنا به من أحكام وشرائع (معلومة من الدين بالضرورة)أولى باحباط العمل وأحق بالكفر من غيره وتأكدت أيضا من كفر هذا الذى لم يرضى بحجية حديث متفق عليه كما نص على ذلك جمهور العلماء سلفا وخلفا •

وقال البخارى أيضا فى صحيحه حدثنا على بن عبد الله حدثنا أزهرين سعد أخبرنا ابن عون أنبأنى موسى بن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضى الله عنه فقال رجل يارسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده فى بيته منكسا رأسه فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبى ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجع اليه المرة

---

(١) الحجرات •

الأخيرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له أنك لست من أهل النار ولاكنك من أهل الجنة .

فهذا صحابى أيضا من صحابة رسول الله ﷺ يقول على نفسه أنا من أهل النار قد حبط عملى لدرجة أنه اعتكف فى البيت ونكس رأسه حزنا على نفسه ـ لاعتقاده بأن الآية نزلت فيه لمجرد أنه رفيع الصوت عند النبى ﷺ فاذا أمعنت النظر فيما سبق وعلمت أبعاد المسألتين السابقتين اشتقت الى العلم كى تعلم ماربك وما دينك وما هو الرسول الذى بعث فيك قبل أن يدركك الموت ويأتيك الملكان يسألانك بهذه الأسئلة فتقول لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله !

فتأكد ياأخى مما تتلفظ به الآن حتى يثبتك الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فلعلك تتفوه بكلمة لاتلقى لها بالا تهوى بك فى النار سبعين خريفا كما حدثنا بذلك البشير النذير ﷺ وكما قال تعالى فى كتابه العزيز : « **تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** » .

وبعد أن بينت بعون الله أن المشركين كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بأنه هو وحده القادر على كل شىء لكنهم لم يدخلوا فى الاسلام وكانوا فى تعداد المشركين وبينت أن السبب فى ذلك يرجع الى أنهم كانوا يؤمنون بالله وقدرته فى الضراء ويشركون به فى السراء أى عندما يستجيب لدعائهم أو لاتخاذهم وسائط بينهم وبين الله كان لابد أن نذكر لك بعض الأمثلة أيضا والتى عليها القبوريون فى هذا لزمان ولتحكم أى الفريقين أحق بالكفر . يقول أحد القبوريين ناصحا أحد اخوانه فى الوثنية :

عليك ببيت فيه للمحتمى العز
وللظالم الأسواء والذل والعجز
وذلك ببيت القطب أحمد كنزا
من المدح فيه بالصرح كذا والرمز (١)

أى أنه اذا أصابك ظلم مامن أحد فما عليك الا أن تذهب الى ضريح البدوى تشكو اليه ضعفك وهوانك على الناس .

---

(١) الجواهر السنيد لعبد الصمد الاحمدى ص ١١١ .

فضريح ــ البدوى ــ يحمى كل ضعيف مستضعف ويمنحه العزة وهو فى نفس الوقت يصيب الظالم بالذل والعجز !

أما اذا كنت بعيدا عن ضريح ــ البدوى ــ وألمت بــك مصيبة . وأردت أن تتخلص منها فما عليك الا أن تسمع هذا الوصف من أحــد القبوريين لتعلم كيف تتصل بالبدوى (دايركت) يقول :

يــامن رماه الدهــر بالاذعــان
نــادى بعــزم يــاأبا فــراج

فهو الأمان من الحوادث اذا أتت
وهو المــلاذ لنــا وعــون الراجى

وهو المــراد اذا الخطوب تراكمت
وهو المجيب لدعوة المحتــاج (١)

الله يقول فى كتابه : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان** » (٢) .

وهذا يدعو الناس الى مناجاة ــ البدوى ــ

ويقول الله تعالى : « **أمن يجيب المضطر اذا دعــاه ويكشــف الســوء** (٣) .

وهذا يدعى أن ــ البدوى ــ هو الأمان من الحوادث اذا أتتنت .

ويقول الله أيضــا : « **وان يمسسك الله بضر فــلا كاشــف له الا هو** » (٤) .

وهذا يدعى أيضا أن ــ البدوى ــ هو المراد اذا الخطوب تراكمت وهو المجيب لدعوة المحتاج .

---

(١) الجوار السنيد ص ١٠٤ .
(٢) سورة البقرة ١٨٦ .
(٣) سورة النمــل ٦٢ .
(٤) سورة الانعــاه ١٦ .

ويقول آخر مخاطبا البدوى :

بدوى النجـــاد انجـــد ودارك

قـــد أتينـــا حمـــــاك ودارك

أنت زخـــرى وعـــونى وملازى

وأنا الآن داخـــل فى حـــلالك

أنجد ــ أنجد ــ هيا ــ هيا سريعا

ذمة العرب لا تضيع بذلك (١)

أنظر اليه وهو يقول ــ للبدوى ــ الميت ــ أنت زخـــرى وعونى وملازى • ثم أنظر اليه وهو يستنجد به فى لهفة مجنونة قـــائلا انجـــد أنجد ــ هيا ــ هيا سريعا !

وكأن الميت بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير : اذ لو كان هذا المناجى يعتقد فى ــ البدوى ــ غير ذلك لمـــا قال أنجد ــ أنجد ــ هيا هيا ــ سريعا •

ويقول آخر وقد منح ــ البدوى ــ صفات الله وأسمائه :

انى أتيتـــك ياذا المشرع العـــالى

فانظر بلحظك فى شأنى وفى حالى

ولا تكلنى الى من ليس ينصرنى

ولا الى ذى جفـــا للعهـــد لى قالى

ففاقتى لك ياذا الطـــول قد علمت

من كسر قلبه ومن حالى ومن قالى (٢)

هكذا وبكل بساطة منحوا ــ البدوى الميت ــ كل صفات وأسماء الله تعالى اذ يقول : ياذا المشرع ــ ياذا الطول •

---

(١) الجواهر ص ١٢٠ •

(٢) الجواهر ص ١٢٤ •

فبينما يقول الله تعالى :

« ولله الأسماء الحسنى فادعــوه بهــا وذروا الذين يلحــدون فى أســمائه » (١) •

يدعى القبوريين أن — للبدوى — أسماء حسنى يدعونه بها :

ويقول تعالى : « **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** » (٢) •

وهؤلاء يشبهون — البدوى — بالله فى الصفات والأفعال •

ويقول آخر معلما اخوانه آداب الوقوف بين يدى البدوى :

فمــرغ الخــد فى اعتــاب حضرته

لعله بالرضــــا والبشر يلقــاك (٣)

أى ينبغى على الزائر اذا أتى ضريح — البدوى أن يمرغ خديه فى أعتاب ضريحه لعله بهــذا التمرغ — ينال الرضا — والبشر — من الميت — ويلاحظ هنا أن كلمة (لعله) تعنى أنه ربما يمرغ الزائر خديه فى أعتاب ضريح — البــدوى — ولا يقــابل بالبشر — والرضــا — والترحاب ! •

وأسأل ما الذى يفعله الزائر اذا بعد أن يمرغ خديه فى أعتــاب البدوى حتى يقابل بالبشر — والرضا — والترحاب ؟!

وماذا سيحدث لمن يمرغ خديه فى أعتاب ضريح البدوى ؟

وماذا سيحدث للزائر ان لم يرضى عنه البدوى ؟؟؟

بل وماذا سيحدث لمن لم يزور البدوى — فى حياته ؟

وبعد أن منح القبوريين — البدوى — كل صفات وأســماء الله تعالى كما قرأت أقوالهم •

يلاحظ أنه بقيت صفة واحدة وهى صفة لا يختص بها الا الله وحده ألا وهى صفة المغفرة • فمعلوم أن الله هو وحده غفار الــذنوب ولكن القبوريين يقولوا أن — البدوى — أيضا يغفر الذنوب اذ يدعى أحدهم أن — البدوى — قال :

---

(١) سورة الأعراف ١٨٠ •

(٢) سورة الشورى ١١ •

(٣) الجواهر ١٢١ •

فمـن زارنى تنحت فيه ذنـوبه
وفاز بالغفران لمـا قـد جنى قبل

وعـاد الى أوطانه فى جـلالة
وعز وتكريم وقد عمه الفضل (١)

ويدعى قائل هذا البيت أنه من كانت له ذنوب فما عليه الا أن يقوم بزيارة — للبدوى ويتوب اليه — من المعاصى التى أرتكبها — سـواء كانت هذه المعاصى التى أرتكبها من الكبائر أو الصغار فرحمة — البدوى — وسعت كل شىء وباذن — البدوى — سيفوز بالغفران وستتنحى عنه ذنوبه حتى لو كانت مثل زبد البحر — وسيرجع بعد ذلك الى أوطانه فى جلالة وعز وتكريم وقد عمه الفضل !

وهكذا منح القبوريين — البدوى — كل صـفات الله من أفعال لا يقدر عليها الا الله حتى أصبح — الميت المقبور — غافر الذنب — قابل التوب — شديد العقاب — ذى الطول !

ولما كان — البدوى — فى نظـر الذين عبـدوه من دون الله — غافر الذنب — قابل التوب — شديد العقاب — ذى الطول — فلا مانع اذا من أن يسبحوا بحمده بكرة وأصـيلا لما له من فضـل عيهم أجمعين . فتراهم يقولون :

من عمنـا احسـانه فبحمـده
وبمدحـه وشـكره نترنم (٢)

بل وصل الضلال بهؤلاء الى أنهم الفوا حديثا نسبوه الى الله تعالى اذ يقولون ان الله تعالى قال فى حديث قدسى :

(الملك ملكى وصرفت فيه البدوى)

ولا تعجب فهذا الحديث الملفق ما هو الا تفبـير لما سـبق من أقوال الشـعراء .

---

(١) الجواهر ١٢٣ .
(٢) الجواهر ص ١٢٨ .

كان هذا بالنسبة للذين فتنوا بالبدوى وبالضريح المشيد له بطنطا .

أما بالنسبة للذين فتنوا بابراهيم الدسوقى فقد نسب الى الشعرانى أنه قال فى الطبقات أن ابراهيم الدسوقى قال :

(أنا بيدى أبواب النار أغلقتها وبيدى جنة الفردوس فتحتها . من زارنى أسكنته جنة الفردوس) وبالتالى فان صاحب هذا الزعم يكون قد وفر على الناس مشقة العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج البيت الحرام .

وبالتالى لاخوف على الذين اقترفوا المعاصى وكبائر الذنوب . فالنار قد أغلقت وجنة الفردوس قد فتحت ! (والبركة فى اللمه ياهو)

واذا سلمنا جدلا بأن جنة الفردوس قد تم حجزها لزوار — ابراهيم الدسوقى — فما مصير الذين كانوا قبل ابراهيم الدسوقى أو الذين لم يقوموا بزيارة صريحه ؟

الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : « **يوم نقول لجنهم هل امتلأت ؟ فتقول هل من مزيد ؟** » (١) .

والقبوريون يقولون : أنها أغلقت بفرمان — من ابراهيم الدسوقى .

وبينما يجمع الرسول ﷺ أهل بيته ويقول لهم اعملوا ما شئتم لأأغنى عنكم من الله شيئا .

يزعم البعض أن جنة الفردوس بيد ابراهيم الدسوقى وقد تم حجزها مقدما لزوار ضريحه .

وعندما نتعرض للحديث عن جنة الفردوس فاننا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ...** » (٢) .

وصاحب أدنى فهم يرى من خلال هذه الآية أن جنة الفردوس ليست ملكا خاصا لأحد من الناس . بل ان الله سبحانه وتعالى قد أعدها لعباده المؤمنين — أصحاب الأعمال الصالحة الخالصة لوجهة تعالى .

---

(١) سورة ق ٣٠ .

(٢) سورة الكهف ١٠٧

وعلى الصعيد العربى فقد صرح الشيخ محمــد عثمــان البرهانى زعيم البرهانية بالسودان أن الدسوقى هو الذى قاد الجيش فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بجسده !!

وصاحب هذا الزعم مطالب بأن يفيدنا بنوع السـلاح الذى كان ينتمى اليه ـ الدسوقى ؟ هل كان فى سلاح المشاة ـ أم المهندسين ـ أم الدفاع الجوى ـ أم البحرى ـ أم الاستطلاع ـ أم المدرعات ـ أم المظلات ـ أم فى سلاح الاشارة ؟ !!

ومطالب بأن يقول لنا عن الأسباب التى منعت ابراهيم من الاشتراك فى حرب يونيه ١٩٦٧ ـ مادام له اتصال مباشر به وعلى علم بتحركاته الداخلية والخارجية !

وبالتأكيد لو كان النصر حليفنا فى هذه الحرب لزعم أنه كان فيها ولكن لأن الأمر كان غير ذلك فلم يتكلم .

أما بالنسبة للذين فتنوا بأحمـد الرفاعى ـ فقد ادعى أحمـد الصاوى :

ان الرفاعى أراد أن يشترى بستان (حديقة) فأبى صـاحبه أن يبيعه الا بقصر فى الجنة فقال له ـ قد اشتريت منك بذلك . وكتب له عقد هذه صورته : بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا ماابتاع اسماعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامنا على الله قصرا فى الجنة يحده حدود .

الأول : جنة عدن .

والثانى : لجنة المأوى .

والثالثة : لجنة الخلـد .

والرابع : لجنة الفردوس بجميع صوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضا عن بستانه فى الدنيا ـ والله شاهد على ذلك وكفيل . فلما مات اسماعيل أى مشترى القصر ـ دفـن معه العقد ـ فأصبحوا واذا مكتوب على قبره .

(وقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا)

أنظر الى هذه القصة بتمعن لترى كيف تخللتها سموم الوثنية فى خبث ودهاء مريب — ويلاحظ فى هذه الرواية أن مؤلفها — أحمد الصاوى — قد منح الرفاعى حق التصرف فى قصور الجنة بما فيها جنة (الفردوس) بقصورها وولدانها وفرشها وأشجارها وأبحارها وأنهارها ويلاحظ أيضا أن هناك قبورى سابق قد قال ان جنة الفردوس هى ملك — ابراهيم الدسوقى — وقد تم حجزها لزوار ضريحة ! وهنا يدعى هذا القبورى هو الآخر ان جنة الفردوس هى من الجنان التى يتحكم فيها الرفاعى أيضا ولذلك فقد منحها هدية بجانب القصر ثمنا لقطعة الأرض التى اشتراها !

واذا سلمنا بصحة هذه الرواية فلنا أن نسأل ؟

هل كان دخول الجنة فى عهد الرفاعى ثمنا لبيع الأرض له أم كان بالعمل الصالح الخالص لوجه الله • واذا خاطبنا هؤلاء على قدر عقولهم وسلمنا مؤقتا بصحة هذه الروايات فأين سيكون مصير من كانوا فى عهد الرفاعى ولم تكن فى حيازتهم أى أرض ؟

ألا ترى يا أخى أن هذه القصة فى مضمونها قد سبقت قصة بيع الأهرامات الثلاثة لأحد السذج • وخلاصة القول : أن القبوريين قد أعطوا — البدوى — حق التصرف فى الوجود — وقضاء الحاجات وتفريج الكربات وكشف العاهات — وأخيرا منحوا له حق الغفران ومنحوا للدسوقى — حق اغلاق أبواب النار ودخول جنة (الفردوس) وللرفاعى — حق التصرف فى قصورها وجناتها (١) •

---

(١) يتهمنا البعض بأننا نقلل من شأن الاولياء والصالحين وننكر ما تفضل الله عليهم من كرامات وهذا قول خاطىء • لأن المتمعن فى كلامنا لايجد والحمد لله حرفا واحدا فى حق أحدا من الأموات • ولكن كان الكلام دائما على هؤلاء الذين فتنوا بهم وعلى مانسبوه اليهم من اقوال لاتصدر الا من جاهل بأصول ديننا الحنيف •

وليعلم فى نفس الوقت أن الفتنة بالانبياء والصالحين ليس فيها ثمة تقليل من قدرهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى — ولكن الخسران والهلاك لمن فتنوا بهم فالذين فتنوا بعيسى عليه السلام واتخذوه من دون الله الها لم يقللوا من شأن رسالته • ولذلك حذر الرسول ﷺ امته مما وقع فيه قوم عيسى عليه السلام حيث قال فى الحديث «لاتطرونى كما أطرت النصارى بن مريم ولكن قولوا بقولكم عبد الله ورسوله » •

ولا تعجب فليس بعد الكفر ذنب .

ويروى الشعرانى أيضا عن الرفاعى أنه لما ذهب ليحج وقف أمام قبر الرسول ﷺ وقال :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها
تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمد رسول الله ﷺ يده من داخل القبر فقبلها الرفاعى ثم أدخل الرسول ﷺ يده من أخرى ! وبالتحقيق فى هذه الرواية المختلقة نجد أنها لا تتفق بأى حال من الأحوال مع المقاييس التى تعارفنا عليها سواء كانت هذه المقاييس عقلية أو شرعية لأنه من المعلوم لدينا أنه لا يوجد على الأرض من هو أشد حبا للرسول ﷺ من الصحابة عامة والخلفاء الراشدين خاصة . ورغم ذلك لم نسمع مثلا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذهب الى قبر الرسول ﷺ ودار بينهما حديثا ما .. فضلا عن خروج اليد لتقبيلها — وكذلك بالنسبة للصحابى الأول للرسول ﷺ أبا بكر الصديق والامام الجليل على بن أبى طالب رضى الله عنه وغيرهم ممن عرفوا بحبهم الشديد لرسول الله ﷺ لم يؤثر عن أحد منهم أنه كان له حالا مع الرسول ﷺ بعد موته ولم يؤثر أيضا عن أحد أنه ذهب الى قبر الرسول ﷺ وطلب منه أن يمد يده لكى يقبلها وذلك لأنهم أصحاب عقيدة صحيحة بعيدة كل البعد عن الوثنية والشرك والوهم والخيال . فاذا كان هذا هو حال الصحابة مع حبيبهم رسول الله ﷺ بعد الممات فكيف بمن دونهم بل كيف يقال أن يد الرسول ﷺ قد خرجت من القبر بناء على الطلب المقدم من قبل الرفاعى ليقبلها ثم دخلت مرة أخرى ! .

وخلاصة القول أنه لو كان من الجائز حدوث ذلك لكان الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أولى بالرسول ﷺ من غيرهم — ولكن لأنه لم يؤثر عن أحد منهم أنه فعل ذلك أو كلم الرسول من خارج القبر ورد عليه

الرسول ﷺ فان ما سبق ذكره من قبل الشعرانى ما هو الا وهم وخيال ليس له سند عقلى أو شرعى (١) •

وأيضا لا تعجب ياأخى اذا ما علمت أن من بين هؤلاء من يقف أمام الميت خاشعا ذاكرا داعيا ذاك الميت الذى لو كان حيا ما كان لينفع نفسه ولا يستطيع دفع ضر نزل به •

فتراه يقف أمامه وقفة الذليل ويبتهل اليه ابتهال المسكين وكأنه أمام رب العالمين ليقول مخاطبا ذلك الميت (العارف لايعرف وجئتك فتصرف والشكوى لأهل البصيرة عيب • وأنت ياقطب الأقطاب تعـرف كل شىء ولست بحاجة الى تفسير أو كلام) •

وماذكرته آنفا انما هو تلخيص لعقيدة القبوريين فيما عرف بينهم بأوليـاء الله الصالحين فهذا الذى وقف أمام أحد أوثان الشرك المسمى عندهم بالمقام يقول فى وقاحة العارف لا يعرف أى أنت أيهـا القطب تعرف مابى من الهم والغم والكرب وتعرف لماذا جئت اليك قاصـدك وحدك فما ذهبت لأحد غيرك فأنت وحدك الذى تملـك فك همى وغمى وكربى ولست بحاجة الى أن أقول ذلك •

فيامصرف أحوالنا تصرف فى أمرنا ولو لم تكن الشكوى لأهـل البصيرة عيب لزدت فى شكواى فأنت ياقطب الأقطاب تعرف كل شىء ولست بحاجة الى تفسير أو كلام • ترى يا أخى ماذا بقى لله سـبحانه

---

(١) كانت هذه مقتطفات من أقوال هؤلاء الذين اعتقدوا فى البدوى — والدسوقى والرفاعى وغيرهم من الأموات — ذكرتها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ولا كن من اراد ان يتعرف على الوثنية بأصولها المتفرعة فعليه بكتاب الجواهر السنية لعبد الصمد الأحمـدى ، كتاب الطبقات الكبرى للشعرانى — فهذان الكتابان فيهما كثير من النقول التى لا تعبر الا عن الكفر الصريح لمن نسبت اليه .

وليعلم أن هذا هو حال المثقفين من القبوريين كما هو واضح من خلال أسفارهم المكدسة بكل ماهو باطل • ولايغتر بقول العامة من انهم ليسوا على شاكلة هؤلاء • فهم يدينون لهم بكل الحب والولاء والعرفان والتقديس — والا كيف يتنكروا لمـا سبق من اقوال السفهاء وهم مع هذا الانكار المزيف يقولون — مدد يادسوقى — مدد يابدوى — مدد ياأبو العينين — مدد ياأبو السباع — مدد ياطاهرة — مدد يا امير الجيوش — مدد ياقناوى — مدد ياعبد القادر — مـدد يا باشة الأمارة — مدد يا كايدهم .

اليس هذا معناه — انهم يعتقدون فى ان الأموات قادرين على جلب المصالح لهم ورد المصائب عنهم والا ما معنى كلمة « مدد » .

وتعالى ؟ وليس هذا الكلام فيه ثمة غرابة اذا ماقورن بالذى قيل قبله على لسان القبوريين أنفسهم وحتى ياأخى لاتظن أن فى كلامى افتراء على هؤلاء — فاليك ماكتبه أحمد التيجانى عن قطب الأقطاب فى كتاب (جواهر المعانى ص ٨١) اذ يقول : (ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه الله علم ماقبل الوجود والكون وما وراءه ومالا نهاية له وان يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذروة من جميع الموجودات وان يخصصه بأسرار دائرة الاحاطة وجميع فيوضاته وما احتوى عليه) •

فاذا كان التيجانى يزعم بأن قطب الأقطاب عنده علم ماقبل الوجود والكون وماوراءه ومالا نهاية له فأين أذهب يقول الله تعالى :

« وما تدرى نفس ماذا تكسب غـــدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت •• » (١) •

وأين أذهب أيضا بقوله تعالى :

« •• وما أوتيتم من العلم الا قليـــلا » (٢) •

ويقول تعالى **« قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله •• »** (٣) •

ويقول تعالى **« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ••• »** (٤) •

ويأمر الله سبحانه وتعالى رسوله بأن يقول لقومه : **« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء •• »** (٥) •

ترى هل كان هذا المسمى بقطب الأقطاب أحـب وأقرب الى الله تعالى من الأنبياء والرسل والصحابة رضى الله عنهم أجمعين فيعطيه الله علم ماقبل وجود الكون وماوراءه وما لانهاية له ويحرمه من أنبيائه ورسله والصالحين من عباده ؟ •

---

(١) سورة

(٢) سورة الاسراء ٨٥ •

(٣) سورة النمل ٦٥ •

(٤) سورة الأنعـــام ٥٩ •

(٥) سورة الاعـــراف ٨٨ •

وأحاول الآن جاهدا أن أمسك بالقلم حتى لا تتشعب بنا الأمــور وليكون لنا مع هذا القطب الخرافى وقفة أخرى لنبين فيها ان شاء الله كيف يتصرف هذا القطب فى الكون بمساعدة الامامان ــ والأوتاد الأربعة والأبدال والنجباء والنقباء !!

ولنتعرف أيضا على مايسمى عندهم بالديوان ورئيس الديوان أو رئيسة الديوان ومكانه ووقت انعقاده ليتبين لكم كيف تتحكم محكمة الدراويش العليا بقيادة رئيس الديوان أو رئيسة الديوان فى أقــدار الله •

(نــور مــن اللــه)

أيها القبوريون ألم تقرؤا قوله تعالى « **أليس الله بكاف عبده ..** » (١) .

حتى تذهبوا لميت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

أكان الله بخيلا فتتخذوا له وسيطا كى يستجيب لكم وهو القائل « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان** »(٢).

أم كان الله لا يعلم بحاجتكم فأخذتم له من يخبره وهو القائل :

« **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (٣) .

أم كان الله ظالما فأخذتم له من يعينه على ظلمه وهو القائل :

« **ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفهاويؤتى من لدنه أجرا عظيما** » (٤) .

أما قرأتم قوله تعالى : « له دعوة الحق **والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال** » (٥) .

وقوله تعالى : «**ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها . أم لهم آذان يسمعون بها قل أدعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون** » (٦) .

ويقول تعالى : « **ذالكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (٧) . ان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ماستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** » (٨) .

---

(١) سورة الزمر ٣٦ .
(٢) سورة البقرة ١٨٦ .
(٣) سورة تبارك ١٤ .
(٤) سورة النساء ٤٠ .
(٥) سورة الرعد ١٤ .
(٦) سورة الاعراف ١٩٣ — ١٩٥ .
(٧،٨) سورة فاطر ١٣ — ١٤ .

ويقول تعالى : « **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** » (١) .

ويقول تعالى : « **قل من رب السموات والأرض قل الله قل فأاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ..** » (٢) .

ويقول تعالى : « **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ...** » (٣) .

ويقول تعالى : « **ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض . سبحانه وتعالى عما يشركون** » (٤) .

ويقول تعالى : « **..قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى الله برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون** » (٥) .

ويقول تعالى : « **أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ماتذكرون** » (٦) .

ويقول تعالى : « **قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خلق كل شىء وهو الواحد القهار** » (٧) .

ويقول تعالى : « **ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا لمن الظالمين** » (٨) .

ويقول تعالى : « **ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون** » (٩) .

---

(١) سورة العنكبوت ٤١ (٢) سورة الرعد ١٦ . (٣) سورة يونس ١٠٧ .
(٤) سورة يونس ١٨ .
(٥) سورة الزمر — ٣٨ — .
(٦) سورة النمل ٦٢ .
(٧) سورة الرعد ١٦ .
(٨) سورة يونس ١٠٦ .
(٩) سورة الاحقاف ٥ .

فهذه آيات عديدة من لدن حكيم عليم نكتفى بذكرها تبين أن من يدعو غير الله أو يشرك مع الله أحد فى دعوته وتوسله فقد أشرك بالله سبحانه وتعالى وليكن لنا بعد ذلك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وهو يعلم أصحابه ويعلمنا كيف نكون على التوحيد الخالص لله رب العالمين .

١ — ففى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : (تقولوا : ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله — ثم — ماشاء محمد) رواه ابن ماجه .

وبذلك يكون الرسول ﷺ قد نهى أن تقرن مشيئة الخالق بمشيئة الخلق . وفى قوله ولكن قولوا ماشاء الله ثم ماشاء محمد توضيح أن مشيئة الخلق لا تكون الا اذا شاء الخالق اذ يقول الله سبحانه وتعالى **« وماتشاؤن الا أن يشاء الله »** (١) .

ويقول تعالى :

« ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا (٢) الا أن يشاء الله ..(٣) »

٢ — وقال رجل للرسول ﷺ ماشاء الله وشئت فقال « : أجعلتنى لله ندا ؟ قل ماشاء الله وحده » رواه النسائى .

فدل ذلك على أن من يقرن مشيئة الخلق بمشيئة الخالق فقد جعل لله ندا حتى لو كان أحد خلقه أتقاهم وأقربهم الى الله وفى ذلك يقول تعالى **« ولاتجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »** (٤) .

٣ — روى الطبرانى باسناده (أنه كان فى زمن النبى ﷺ رجل يؤذى المؤمنين فقال بعضهم : قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق . قال النبى ﷺ : (أنه لايستغاث بى وانما يستغاث بالله) .

٤ — وفى الصحيح عن أنس قال : شج النبى ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الأمر شىء .... » (٥) .

---

(١) سورة الانسان ٣٠ .
(٢،٣) سورة الكهف ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) سورة البقرة ٢٢ .
(٥) سورة آل عمران ١٢٨ .

أى أن فلاحهم أو عدم فلاحهم ليس من أمر النبى ﷺ انما هو بيــد الله •

وقد روى هذا الحديث عن طريق ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : اذا رفع يده من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر اللهم ألعن فلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ••• ربنا ولك الحمد فنزلت الآية « ليس لك من الأمر شىء » •

وفى رواية أخرى يدعو على صفوان بن أمية وبن عمرو الحارث ابن هشام فنزلت : « ليس لك من الأمر شىء » •

فهذا الحديث والذى روى من طرق عديده يدل دلالة قاطعة على أن الرسول عليه الصلاة والســلام لم يكن يملك من الأمر شــيئا حتى لنفسه • وقد أوحى الله سبحانه وتعالى الى رسوله ﷺ بأن يخبر أمته بذلك ــ قال تعالى لرسوله : (**قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ماشاء اللــه** •••) (١) •

٥ ــ روى فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقــول : يارسول الله • أغثنى • فأقول : لا أملك لك من الأمر شيئا •

وقد ثبت أيضا فى الحديث الصحيح أن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال حين أنزل عليه « **وأنذر عشــيرتك الأقربين** » (٢) يامعشر قريش ــ أو كلمة نحوها ، اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم شيئا • ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا • ياصفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئا ويافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ماشئت لا أغنى عنك من الله شيئا •

وف رواية (يابنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد مناف أنقذوا أنفســكم من النــار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافطمة بنت محمد انقــذى نفسك من النار فانى لا أمالك لكم من الله شيئا) •

---

(١) سورة الاعــراف ١٨ •

(٢) سورة الشعراء ٢١٤ •

فانظر ياأخى اذا ماكان الرسول ﷺ يخبر أهله وهم أقرب الناس اليه ويقول لهم أنى لا أغنى عنكم من الله شيئا وهو المعصوم والذى له عند ربه منزلة عالية فكيف بمن يعلقون مصيرهم ببعض الأموات الخطائين ويلجأون اليهم ويتخذونهم وسطاء لله تعالى ويقولون هؤلاء شفعؤنا عند الله ؟ ولكن عندما يواجه القبوريين بهذه الأدلة القرآنية والأحـــاديث النبوية التى تكشف عقيدتهم الوثنية وعندما لا يجدون مفرا منها يدعون أنهم لايذهبون الى تلك الأضرحة الا لزيارتهم وقراءة الفاتحة ترحما على أرواحهم من حيث لايدرون أن ادعائهم هذا قد كشف القناع عن أمــور كثيرة لا يجرؤن على التصريح بها • وحتى لا تضيع الحقيقة فى هـــذا الأمر أيضا لزم علينا أن نقف وقفة مع رسول الله ﷺ فى هديه لزيارة المقابر •

١ ــ عن عائشة رضى الله عنها قالت (كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها منه يخرج من آخر الله الى البقيع ،فيقول«السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ماتوعدون • غدا مؤجلون • وانا انشاء الله بكم لاحقون • اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » رواه مسلم •

٢ ــ وعن عائشة أيضا (أن جبريل أتاه فقال : ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم قالت:قلت : كيف أقول لهم يارسول الله• قال : قولى : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين • ويرحم الله المستقدمين منا المستأخرين • وانا ان شاء الله بكم اللاحقون) • رواه مسلم •

٣ ــ عن سليمان بن بريده عن أبيه قال : كان رســـول الله ﷺ يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين • وانا ان شاء الله بكم اللاحقون روام مسلم •

فهذه روايات صحيحة عن رسول الله ﷺ فضلا عن وجود روايات أخرى كثيرة فى نفس الباب تبين ماكان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فى زيارتهم المقابر •

هذا وقد نهى الرسول ﷺ عن قراءة القرآن فى المقابر والدليــل ماراواه مسلم فى صحيحة أن رسول الله ﷺ قال«لاتجعلوا بيتوكم مقابر

أن الشيطان يفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » أى لاتجعلوا بيوتكم كالمقابر التى لا يقرأ فيها القرآن — وهذا الحديث فيه دليل أيضا على أن المخاطبين به كانوا على علم بأن المقابر لا يقرأ عندها القرآن — وأن هذا هو المشهور عندهم فهل يلتزم القبوريين بهـــذه الآداب عند زيارتهم للمقابر ؟ أم أنهم راحوا يتنافسون فى طلب المدد من المـــوتى ؟ ثم اننا نكتشف من الأحاديث السابقة ما يلى :

أولا : أن الله عز وجل هو الذى كان يعلم الرسول ﷺ آداب الزيارة أى أن آداب الزيارة ليست من عند رسول الله ﷺ فحسب وانما هى من عند الله رب العالمين • ولو أفترض أنها من عنـــد رسول الله ﷺ فحسب لا ينبغى مخالفتها لقول الله تعالى :

« •• وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا •• » (١) •

ثانيا : لم يكن من هدى الرسول ﷺ قراءة الفاتحة أو غيرها من السور على مقابر الأموات ، بل كان هدية أنه كان اذا دخل المقابر بدأ بالسلام عليهم ثم أخذ يدعو لهم كما هو واضح من الأحاديث الســـابقة وخاصة الحديث رقم (٤) •

ثالثا : أنه لو كانت قراءة الفاتحة أو غيرها من السور ترحما على أرواح الأموات من سنن الزيارة لقرأها رسول الله ﷺ وأوصى صحابته الكرام بقرائتها • ولكن علم الرسول ﷺ أن ماينفع الأموات فى قبورهم هو الدعاء لهم فكان يكثر منه •

رابعا : القول بجواز قراءة الفاتحة على أرواح الأموات فيه مغالطة صريحة • اذ لو كانت قراءة الفاتحة على الأموات فيها فائدة تعود عليهم لما خفى ذلك على رسول الله ﷺ بل فيه اتهام له بأنه فاته أن يترحم على الأموات من المسلمين • وحاشا له ذلك وقد وصفه الله لنا فى كتابه العزيز فقال عنه(**حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ••**)فكيف بمن هو حريص علينا رؤوف رحيم بنا • يفوته أن يترحـــم على من ســـبقونا بالايمـــان ؟

---

(١) سورة الحشر ٧ •

خامسا : يقول الرسول ﷺ : (من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) • متفق عليه •

أى من أتى بشىء ليس فى كتاب الله ولا سنة الرسول ﷺ وأدعى أنه من الدين فهو مردود عليه لايعمل به • وقراءة الفاتحة على المقابر على أرواح الأموات كما هو شائع اليوم • أمر لم يأتى لا فى آية من آيات الله ولا فى حديث من أحاديث رسولنا الكريم • ولم يأت به أحد من السلف الصالح • وبالتالى فهذا الأمر مردود على من قال به •

سادسا : ربقائل يقول انى أقرأ الفاتحة والفاتحة من القرآن فهل لا يجوز لى قراءة القرآن ترحما على أمواتنا ؟ قلنا له : اذا كنت حقا تريد أن تترحم على أموات المسلمين ويهمك هذا الأمر فالأولى بل أن تتبع من هو أرحم منا جميعا على الأحياء والأموات باتباع ماكان عليه رسول الله ﷺ فى مثل هذا الموضوع • لأن ماجاء به الحبيب ﷺ هو الأفضل والأكمل ولن يأتى أحد بأفضل مما جاء به •

ونحن لا نحرمك من قراءة القرآن ولكن نقول ان لكل قول وقت ومكان يقال فيه فعندما نهى عن قرءاة القرآن فى الخلاء أكان ذلك نهيا مطلقا لعدم قرائته ؟ وهل عندما نهى عن قراءته أيضا بصوت مرتفع فيشوش على المصلين أكان ذلك النهى نهيا عاما ؟

وخلاصة القول أنه مادام هناك نصوص صريحة فى زيارة المقابر من حيث السلام على الأموات والدعاء لهم فانه لا يصح بعد ذلك الاجتهاد مع هذه النصوص الصريحة واكتفى بهذا القدر للكلام فى هذه المسألة وان كنت أطلت فيها شيئا مافذلك لأنها آخر حجة أمام القبوريين يلجأون اليها اذا مافنيت ادعاءاتهم المزعومة • وأردت بذلك أن أبين أنها أيضا حجة واهية •

وقال صاحب معارج القبول الشيخ (حافظ أحمد بن حكمى) فى ذلك :

ثــم الزيــارة على أقســام
ثــلاثة يا أمة الاســلام
فان نــوى الزائر فيما أضمره
فى نفسه تذكــره بالآخــرة
ثـم الدعــاء له وللأمــوات
بالعفو والصــفح عن الزلات
ولم يــكن شــد الرحال نحوها
ولم يقــل هجرا كقول الســفها
كذلك ســنة أتــت صريحــة
فى الســنن المثبته الصــحيحة

ففى هذه الأبيات يبين الشاعر أن زيارة المقابر تنقسم الى ثلاثة أقسام :

الأولى : الزيارة السنية وهى التى كان عليها رسول الله ﷺ والسلف الصالح وتابعيهم باحسان الى الآن ، وفيها يتعظ الزائر من تذكره للموت ويدعو للأموات بالمغفرة والرحمة .

الثانية : وهى الزيارة البدعية والتى عليها عامة الناس اليوم الا من رحم الله اذ لا يلتزم فيها الزائر بما أثر عن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح رضوان الله عليهم وبالتالى لا يتحصل الزائر على مقصود زيارته .

الثالثة : الزيارة الشركية والتى عليها القبوريون الآن لاعتقادهــم الفاسد فى أن أموات تلك الأضرحة يملكون لهم النفع والضر . ويمدوهم بالعون والمــدد .

خطبة الامام ابن القيــم
فى الفرق بين زيارة الموحــدين للقبور وزيــارة المشركين

هذا وللامام ابن القيم خطبة كافية شافية يبين فيهــا الفــرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين يقول :

أما زيارة الموحدين : فمقصودها ثلاثة أشياء :

أحدهما : تذكر الآخرة ، والاعتبار ، والاتعاظ . وقد أشار النبي ﷺ الى ذلك بقوله : « زوروا القبور ، فانها تذكركم بالآخرة » (١) .

الثاني : الاحسان الى الميت ، وان لا يطول عهده به ، فيهجره ، ويتناساه ، كما اذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه ، فاذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك ، فالميت أولى . لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها اخوانهم وأهلهم ومعارفهم . فاذا زاره وأهدى اليه هدية : من دعاء ، أو صدقة . أو أهدى قربة . ازداد بذلك سروره وفرحه ، كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له . ولهذا شرع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للزائرين ان يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة ، وسؤال العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم ، ولا أن يدعوا بهم ، ولا يصلى عندهم .

الثالث :احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة ، والوقوف عندما شرعه الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فيحسن الى نفسه والى المزور .

وأما الزيارة الشركية : فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام .

قالوا : الميت المعظم ، الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى ، لايزال تأتيه الألطاف من الله تعالى،وتفيض على روحه الخيرات. فاذا علق الزائر روحه به ، وأدناها منه ، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطها . كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له .

قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويكعف بهمته عليه ، ويوجه قصده كله واقباله عليه ، بحيث لايبقى فيه التفات الى غيره . وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم ، كان أقرب الى انتفاعه به .

وقدذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما. وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها .

---

(١) رواه مسلم والحاكم وابن ماجه بالفاظ مختلفة .

قالوا : اذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية • فاض عليها منها النور •

وبهذا السر عبدت الكواكب ، واتخذت لها الهياكل ، وصنفت لها الدعوات ، واتخذت الأصنام المجسدة لها • وهذا بعينه هو الذى أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياد ، وتعليق الستور عليها،وايقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها • وهو الذى قصد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ابطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذراع المفضية اليه • فوقف المشركون فى طريقه ، وناقضوه فى قصده • وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى شق ، وهؤلاء فى شق •

وهذا الذى ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور : هو الشفاعة التى ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشفع لهم عند الله تعالى •

قالوا : فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهمته اليه ، وعكف بقلبه عليه • صار بينه وبينه اتصال • يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله • وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان • فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السطان من الأنعام والأفضال ينال ذلك المتعلق به حسب تعلقه به •

فهذا سر عبادة الأصنام • وهو الذى بعث الله برسله ، وأنزل كتبه بابطاله ، وتكفير أصحابه ، ولعنهم • وأباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذرارهم • وأوجب لهم النار • والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله ،وابطال مذهبهم •

قال تعالى : « **أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون (١) • قل لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والأرض** » (٢) •

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض ، وهو الله وحده • فهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ، ليرحم عبده • فيأذن هو لمن يشاء أن

(١،٢) سورة الزمر — ٤٣ ، ٤٤ •

يشفع فيه . فصارت الشفاعة فى الحقيقة انها هى له ، والذى يشفع عنده انما يشفع باذنه له وأمره ، بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهى ارادته من نفسه أن يرحم عبده . وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهى التى أبطلها الله سبحانه فى كتابه ، بقوله : « **واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** » (١) وقوله : « **يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلة ولاشفاعة** » (٢) وقال تعالى : « **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون** » (٣) وقال : « **الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع** » (٤) .

فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل اذا أراد الله سبحانه رحمة عبده اذن هو لمن يشفع فيه . كما قال تعالى : « **ما من شفيع الا من بعد اذنه** » (٥) وقال : « **من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه** » (٦) فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ، ولا الشافع شفيع من دونه ، بل شفيع باذنه .

والفرق بين الشفعين ، كالفرق بين الشريك والعبد المأمور .

فالشفاعة التى أبطلها الله : شفاعة الشريك فانه لا شريك له ، والتى أثبتها : شفاعة العبد المأمور الذى لا يشفع ولا يتقدم بين يدى مالكه حتى يأذن له . ويقول : أشفع فى فلان . ولهذا كان أسعد الناس بشفاعته سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد ، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه .

---

(١) سورة البقرة — ١٢٣ — .

(٢) سورة البقرة ٢٥٤ .

(٣) سورة الانعام ٥١ .

(٤) سورة السجدة ٤ .

(٥) سورة يونس ٣

(٦) سورة البقرة ٢٥٥ .

قال تعالى : **« ولا يشفعون الا لمن ارتضى »** وقال : **« يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا »** (٢) .

فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضاء قول المشفوع له ، وأذنه للشافع فيه . فأما المشرك فانه لا يرتضيه ، ولا يرضا قوله . فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له ، وأذنه للشافع . فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة .

وسر ذلك : أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الأمر شيء ، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده : هم الرسل والملائكة المقربون . وهم عبيد محض ، لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يفعلون شيئا الا بعد اذنه لهم ، وأمرهم . ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئا . فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره وأذنه. فاذا أشرك بهم المشرك ، واتخذهم شفعاء من دونه ، ظنا منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له . ويمتنع عليه . فان هذا محال ممتنع ، شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم فى الحوائج .

بهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولى .

والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق . والرب والمربوب ، والسيد والعبد . والمالك والمملوك . والغنى والفقير . والذى لا حاجة به الى أحد قط . والمحتاج من كل وجه الى غيره .

فالشفعاء عند المخلوقين : هم شركاؤهم . فان قيام مصالحهم بهم . وهم أعوانهم وأنصارهم ، الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم . ولولاهم لما انبسطت أيديهم والسنتهم فى الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم . وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع . لأنهم

---

(١) سورة الانبياء ٢٨ .

(٢) سورة طه ١٠٩ .

يخافون أن يردوا شفاعتهم • فتنتقض طاعتهم لهـم ، ويذهبون الى غيرهم • فلا يجدون يدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا • فأما الغنى الذى غناه من لوازم ذاته ، وكل ما سواه فقير اليه بذاته • وكل من السموات والأرض عبيد له ، مقهورون بقهره ، مصرفون بمشـيئته • لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملـكه وربوبيته والهيته مثقـال ذرة •

قال تعالى : « **لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخـلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير** » (١) وقال سبحانه في سيدة القرآن ، آية الكرسى : « **له ما فى السموات وما فى الأرض،من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه** (٢) وقـال : « **قل لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والأرض** » (٣) •

فأخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وان أحدا لا يشفع عنده الا باذنه ، فانه ليس بشريك ، بل مملوك محض • بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض •

فتبين أن الشفاعة التى نفاها الله سبحانه فى القرآن هى هـذه الشفاعة الشركية التى يعرفها الناس ، ويفعلها بعضهم مع بعض • ولهذا يطلق نفيها تارة ، بناء على انها هى المعروفة المشاهدة عنـد الناس ، ويقيدها تارة بأنها لا تنفع الا بعد اذنه ، وهذه الشفاعة فى الحقيقية هى منه ، فانه الذى أذن ، والذى قبل ، والذى رضى عن المشـفوع ، والذى وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة وقوله •

فمتخذ الشفيع مشرك ، لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده آلهه ومعبوده ومحبوبه ، ومرجوه ، ومخوفه الذى يتقرب اليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه هـو الذى يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه •

---

(١) سورة المائدة ١٧ •

(٢) سورة البقرة ٢٥٥ •

(٣) سورة الزمر ٤٣ — ٤٤ •

قال تعالى : **« أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون(١) •قل لله الشفاعة جميعا»(٢)** وقال تعالى : **« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهـم ولا ينفعهم ويقولون هـؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٣) •**

فبين سبحانه أن المتخذين شفعاء مشركون ، وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم هم • وانما تحصل باذنه للشافع ، ورضاه عن المشفوع له •

وسر الفرق بين الشفاعتين : ان شفاعة المخلوق للمخلوق ، وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده ، لا خلقا ، ولا أمرا ، ولا اذنا ، بل هو سبب محرك له من خارج • كسائر الأسباب التى تحرك الأسباب • وهذا السبب المحرك قد يكون عند المتحرك لأجله ما يوافقه ، كمن يشفع عنده فى أمر يحبه ويرضاه ، وقد يكون عنده ما يخالفه ، كمن يشفع اليه فى أمر يكرهه : ثم قد يكون سؤاله ، وشفاعته أقـوى من المعارض ، فيقبل شفاعة الشافع • وقد يكون المعارض الذى عنده أقوى من شفاعة الشافع ، فيردها ولا يقبلها ، وقد يتعارض عنده الأمران ، فيبقى مترددا بين ذلك المعارض الذى يوجب الرد • وبين الشفاعة التى تقتضى القبول ، فيتوقف الى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح • فشفاعة الانسان عند المخلوق مثله : هى سعى فى سبب منفصل عـن المشفوع اليه يحركة به ، ولو على كره منه • بمنزلة الشفاعة عنده منزلة من يأمر غيره (٤) • أو يكرهه على الفعل ، أما بقوة وسلطان ، واما بما يرغبه ، فلابد أن يحصل للمشفوع اليه من الشافع أما رغبة ينتفع بها ، واما رهبة منه تندفع عنه بشفاعته • وهذا بخلاف الشفاعة عنـد الرب سبحانه ، فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ، ويأذن له فيها ، ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يمكن أن توجد • والشافع لا يشفع عنده لحاجة الرب اليه ، ولا لرهبته منه ، ولا لرغبته فيها لديه ، وانما يشفع عنده

(١ ، ٢) سورة الزمر ٤٣ ، ٤٤ •

(٣) سورة يونس ١٨ •

(٤) فى نسخة : « منزلة من يشفع بامر غيره » •

مجرد امتثال لأمره وطاعة له • فهو مأمور بالشفاعة ، مطيع بامتثـال الأمر • فان أحـدا من الأنبياء والملائـكة ، وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله تعالى ، وخلقه • فالرب سبحانه وتعالى هو الذى يحرك الشفيع حتى يشفع ، والشفيع عند المخلوق هـو الذى يحرك المشفوع اليه حتى يقبل • والشافع عند المخلوق مستغن عنه فى أكثر أموره • وهـو فى الحقيقة شريكه • ولو كان مملوكه وعبـده • فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله منه من النفع بالنصر ، والمعاونة • وغير ذلك • كما أن الشافع محتاج اليه فيما يناله منه من رزق ، أو غيره ، فكل منهما محتاج الى الآخر •

ومن وفقه الله تعالى لفهم هذا الموضع ومعرفته ، تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور •



النهى عن زيارة المقابر ثـم الأمـر بزيارتها

ولقد نهى رسول ﷺ الناس عن زيارة المقابر ثم أمرهم بزيارتها ويرجع ذلك لعدم التزامهم بآداب الزيارة ولأنهم كانوا يقولون هجـرا (أى كلاما محظورا شرعا) •

وذلك لأن عقيدة التوحيد لم تكن قد تمكنت من قلوبهم بعد فلما علمهم رسول الله ﷺ مايقولونه عند زيارتهم للمقابر • وعلم أنهم عقلوا ماقيل لهم — أمرهم بزيارتها مرة أخرى والدليل :

١ — روى الامام أحمد فى السنن : عن طريق على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (اننى كنت نهيتكم عن زيارة القبور • فزوروا القبور • فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة) •

٢ — روى الامام أحمد فى السنن أيضا عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (كنت نهيتكم عن زيارة القبور • فزوروها فان فيها عبرة) •

٣ — عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد فى الدنيـا وتذكر الآخرة) رواه ابن ماجه فى السنن •

٤ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (زار النبى ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى أن أستغفر لها • فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبـور فانها تذكـر الموت) •

٥ — روى فى سنن الترمذى عن بريده رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمـد ﷺ فى زيارة قبر أمه • فزوروها فانها تذكر الآخرة) •

فهذه بعض الأحاديث والتى رويت من طرق مختلفة تدل على أن زيارة المقابر مشروعة لمن يلتزم بآداب الزيارة وهى الدعاء للأمـوات والاتعاظ من تذكر الموت وغير مشروعة لمن لم يلتزم بهذه الآداب وأنه

ليتبادر الى أذهاننا الآن سؤال الى القبوريين وهو : اذا كنتم حقا تزورون هذه الأضرحة حبا فى أصحابها وترحما عليهم لسيرتهم الحسنة فهل ماتحدثونه حولهم من شطح ونطح وصراخ وعويك • اثبات لحبكم اياهم ؟

وهل لو كان واحدا منهم — ممن عرف بالصلاح — بيننا اليوم وشاهد ما تحدثونه حوله أكان يقره ؟

* * *

النهى عـن اتخـاذ المقـابر أعيـادا

وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ المقابر أعيادا ولعن من يفعل ذلك أى لا تخصص بعض المقابر للزيارة والمجىء اليها فى أوقات معينة والاحتفال بأصحابها وهو ماعرف بين الناس (بالموالد) وكان أول قبر نهى الرسول ﷺ عن اتخاذه عيـدا هو قبره ﷺ • والدليـل مارواه أبو داود فى سننه حيث قال حدثنا أحمد بن صالح قال : قـرأت على عبد الله بن نافع أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا تجعلوا بيوتكم قبورا • ولا تجعلوا قبرى عيدا • وصلوا على فان صـلاتكم على تبلغنى حيث كنتـم) •

ففى هذا الحديث يبدأ الرسول ﷺ بقوله « لا تجعلوا بيوتكم قبورا » وهذا القول يحمل أمرين فالأمر الأول هو : أن الرسـول ﷺ يحذر الناس من ان يجعلوا بيوتهم قبورا وكأنه يقول صلوا فى بيوتكم ولا تجعلوها كالقبـور التى لايصلى عندها وفى ذلك دليل آخر على أنه لا تجوز الصلاة فى القبور •أما الأمر الثانى وهو أن الرسول ﷺ يقصد بالصلاة هنا الصلاة النافله اذ لا يصح بأى حال من الأحوال ترك صلاة الجماعة الا لعذر مقبول شرعا ولنعلم من هذا الحديث أيضا أنه من السنة صلاة النافلة فى البيت والمكتوبة فى المسجد •

أما قوله ولا تجعلوا قبرى عيدا ففيه تحذير شديد للناس من أن يتخذوا قبره خصيصا للزيارة ويتحروا الذعاء عنـده أو يجعلوا لقبره يوما معلوما يأتونه فيه •

أما قوله وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم فمعناه • صلوا على وأنتم فى أماكنكم فان صلاتكم على تبلغنى سواء كنتم عند قبرى أو بعيدا عنه • فلا حاجة لى بكم لاتخاذه عيد • وأجد هنا سؤالا أيضا يطرح نفسه وهو : اذا كان اتخاذ المقبرة عيد والاحتفال بصاحبها من شرعتنا الغراء • أما كان قبر الرسول ﷺ أولى بالاحتفال من أصحاب تلك الأضرحة ؟ •

وقال أبى يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه حدثنا زيد بن حباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذى الجناحين . حدثنا على بن عمر عن أبيه عن على بن الحسين (أنه رأى رجلا يجىء الى فرجه عند قبر النبى ﷺ . فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال : لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيتوكم قبورا فان تسليمكم يبلغنى حيث ما كنتم) رواه ابن عبد الله بن عبد الواحد المقدسى فى مختاراته .

وقال سعيد أيضا حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرنا سهيل بن أبى سهل قال : رآنى الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال : مالى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على رسول الله ﷺ فقال : اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال : ان رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم قال (لاتتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم ما أنتم ومن بالأندلس الا سواء) أى أن الذى يصلى على وهو أمام قبرى كالذى يصلى على وهو بالأندلس الكل سواء .

قال شيخ الاسلام الامام بن تيمية رحمه الله ونور الله قبره تعليقا على هذا الحديث « فأنظر الى هذه السنة وكيف مخرجها من أهل البيت » الذين لهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط .

وقال الامام بن القيم أيضا معلقا على حديث الامام على بن الحسين : وهذا أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين رضى الله عنهما . نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث . وهو الذى رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده على رضى الله عنه وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال .

وكذلك بن عمه الحسين شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر اذا لم يكن يريد المسجد ورأى أن ذلك من اتخاذه عيدا .

كما قال شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله فى هذا الباب مانصه:

(ولهذا كره مالك رضى الله عنه وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيىء فيسلم على قبر النبى ﷺ وصاحبيه . قال : وانما يكون ذلك لأحدهم اذا قدم من سفر أو أراد السفر ونحو ذلك . ثم قال : ما علمت أحدا رخص فيه [1] (أى فى زيارة القبر) لأن ذلك نوع من اتخاذه عيد ويدل أيضا على أن قصد القبر للسلام اذا دخل المسجد ليصلى منهى عنه لأن ذلك لم يشرع وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الانسان المسجد أن يأتى قبر النبى ﷺ ، لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك قال : « ولن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها »وكان الصحابة والتابعون رضى الله عنهم يأتون الى مسجد النبى ﷺ فيصلون فاذا قضوا الصلاة قعدوا وخرجوا ، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه فى الصلاة أكمل وأفضل، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام هناك أو الصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم ، بل نهاهم عنه فى قوله « لاتتخذوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى » .

فبين أن الصلاة تصل اليه من بعد وذلك السلام ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد وكانت الحجرة فى زمانهم يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة رضى الله عنها فيها ، وبعد ذلك الى أن بنى الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لايدخلون عليه لا للسلام ولا للصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ، ولا لسؤال أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه كلمهم واقتادهم ، وبين لهم الأحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج القبر كما طمع الشيطان فى غيرهم عند قبره ، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم ويفتيهم ويحدثهم فى الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى

---

(١) هذا القول كقول الامام مالك — ان كره (كلما) دخل الانسان المسجد ان يأتى قبر النبى ﷺ والمراد اتباع السلف فيما كانوا عليه — وليس مراد الامام مالك وشيخ الاسلام — تحريم الزيارة نهائيا — فهذا أبعد مايفهم من مقولة كل منهما . ومما يؤكد ذلك انهما رضى الله عنهما قالا من قبل بجواز الزيارة بعد أن يتحرى الزائر شبهة شد الرحال — واعتياد الزيارة فى أوقات معينة — او حدوث البدع والمنكرات عند القبر .

خرجت تكلمهم وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبى ﷺ ليلة الاسراء والمعراج أ • هـ •

وأيضا قال الامام القرطبى فى ذلك : ولهذا بالغ المسلمون فى سد الزريعة فى قبر النبى ﷺ • ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلـه اذا كان مستقبل المصليين فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركنى القبر الشمالية وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره •

أما ما اشتهر على ألسنة القبوريين من أحاديث نسبـوها زورا وبهتانا الى رسول الله ﷺ فى مسألة الحث على زيارة قبـره وان فى الزيارة منفعة للزائر •

منها على سبيل المثـال :

١ ـ من حج ولم يزرنى فقد جفانى (١) •

٢ ـ من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى (٢)

٣ ـ من حج وزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى (٣) •

٤ ـ من زارني وزار أبي ابراهيم فى عام واحـد ضـمنت له الجنة (٤) •

٥ ـ من زار قبرى وجبت له شفاعتى (٥) •

٦ ـ من زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ، ومن زارنى حيـا وجبت (٦) له شفاعتي •

٧ ـ مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة (٧) •

فقد حقق علماء السلف الصالح فى هذه الأحاديث وقالوا انها من

---

(١) رواه بن عدى والدارقطنى فى العلل وبن حبان فى الضعفاء والخطيب فى رواية مالك بسند ضعيف •

(٢) رواه الدارقطنى بلفظ « من زارنى بعـد موتى فكأنما زارنى فى حياتى » وفى سنده مجهـول •

(٣) قال بن الجوزى انه موضـوع •

(٤) لم أقف على تخريج هذا الحديث وينظر فيما قاله الحافظ بن حجر والحافظ بن العقيلى من أنه لا يصح فى هذا الباب شىء •

(٥) رواه بن خزيمة وابن ابى الدنيا وفيه عبد الله بن عمر العمرى • قال ابو حاتم مجهول وفيه موسى بن هلال البصرى قال العقولى لايصح حديثه •

(٦) قال بن تيميه لا أصل له وقال الامام الشوكانى موضوع •

(٧) والصحيح هو « ما بين بيتى ومنبرى روضه من رياض الجنة » رواه البخارى •

الموضوعات ولا يصح منها شيء حيث قال الحافظ بن حجر فى التلخيص بعدما ذكر أكثر هذه الروايات •

طرق هذه الأحاديث كلها ضعيفة وقال الحافظ بن العقيلى : لا يصح فى هذا الباب شيء •

وجزم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ونور الله قبره • أن هذه الأحاديث كلها موضوعه •ولو كان شيء منها ثابتا لكان الصحابة رضى الله عنهم أسبق الناس للعمل به وبيان ذلك للأمة والدعوة اليه لأنهم خير الناس بعد الأنبياء وأعلم بحدود الله وبما شرعه لعباده •وأنفعهم لله ولخلقه • فلما لم ينقل عنهم شيء من ذلك دل ذلك على أنه غير مشروع أ•هـ •

وخلاصة ماسبق ذكره أنه لاينبغى لأحد أن يتعمد قبر الرسول ﷺ لمجرد الصلاة والسلام عليه فقط • أو الدعاء عند قبره (معتقدا أن مجيئه الى القبر أفضل) لأن ذلك لم يشرعه لهم الرسول ﷺ ولم يعلم أن أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم فعل ذلك والذين هم أحب وأقرب الناس الى رسول الله ﷺ ولم يصرح أحد من الأئمة الأربعة بذلك (١) •

وهذا هو الامام مالك رحمه الله عندما سئل عن رجل نذر أن يأتى قبر النبى ﷺ قال : ان كان يريد المسجد فليأته وليصلى فيه وان كان أراد القبر فلا يأته •

---

(١) قال الامام مالك فى المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبى ﷺ ولكن يسلم ويمضى وقال الامام احمد فى ذلك انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يسارة لئلا يستدبره • أما بالنسبة للدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم • فقد اتفق الائمة على انه لايجوز ان يستقبل القبر عند الدعاء • واختلفوا أن يستقبلوه عند السلام أم لا ؟

والظاهرة انه يجوز استقبال القبر عند السلام ولا شيء فى ذلك • لان على القائل بعدم الجواز ان يأتى بالدليل على ذلك فان لم يكن معه دليل حملت المسألة على الجواز (لان الاصل فى الشيء الاباحة الا بنص) بشرط عدم مس القبر بالأيدى أو تقبيله ومما الى ذلك من عادات الجهال باداب الزيارة • وقد يكون ذلك مراد من قالوا بعدم الجواز من باب سد الذريعة اذ ربما راوا فى زمانهم ان استقبال القبر عند السلام مصحوبا بالمنكرات أو راوا ان هذا قد يؤدى الى حدوث البدع والمنكرات اثناء الزيارة كما هو الحال اليوم لكثير من الذين يزورون قبره ﷺ وخاصة فى موسم الحج • فلو رأيت تهافتهم وتزاحمهم حول القبر للمسه أو تقبيله لظننت انهم يتحصلون على تأشيرات لدخول الجنة ووالله ما امروا بذلك واعتقد ان الائمة لو رأوا ما يفعل الآن عند قبر الرسول ﷺ من قبل الزوار وخاصة فى موسم الحج لاتفقوا جميعا على ان الزيارة بهذا الشكل المخيف حرام الا لمن رحم ربك ويلتزم بآداب الزيارة كما هو مشروع •

ولذلك قال الامام مالك ان أراد المسجد فليأته عملا قال فيه : « من نذر أن يطع الله فليطيعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه والنذر لاتيان قبر النبى ﷺ نذر معصية اذ أنه مخالف للحديث الصحيح والقائل — بعدم شد الرحال لغير المساجد الثلاثة كما تقدم .

ولذلك قال الامام مالك ان كان أراد المسجد فليأته عملا أيضا بجواز شد الرحال الى مسجد الرسول ﷺ كما فى الحديث والله أعلم .

وروى عن الامام مالك أيضا أنه كره أن يقول الرجل (زرت قبر النبى ﷺ) كأنه يقول ان قبر الرسول ﷺ لا يتخذ للزيارة — الا اذا كان الزائر فى مسجده ﷺ سدا للزريعة — اللاهم ان كان ابن عمر رضى الله عنهما هو وحده الذى كان اذا قدم من سفر — أتى قبر النبى ﷺ ويقول السلام عليك يارسول الله — السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبتاه ثم ينصرف .

قال عبيد الله راوى الحديث — مانعلم أحد من أصحاب النبى ﷺ فعل ذلك الا ابن عمر .

وفى هذه الرواية ثلاث مسائل هى :

١ — ان زيارة بن عمر رضى الله عنهما لم يكن فيها شد الرحال ولكن هى ضمن الزيارة الشرعية وذلك لأنه كان من المدينة . والزائر للقبر ان كان من المدينة لم يكن بذلك قد شد الرحال لأنه من نفس البلد التى بها القبر .

٢ — أنه لم يدعو عند قبر الرسول ﷺ بعد أن سلم عليه لعلمه بأن ذلك قد نهى عنه .

٣ — أنه لم ينقل عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أنه فعل مثل ما فعل ابن عمر — سدا للزريعة أمام المسلمين .ولعلمهم بأن الذى يصلى ويسلم على رسول الله ﷺ عند قبره ليس له أفضلية عن الذى يصلى ويسلم عليه وهو بعيد عن القبر — لما فى الحديث (وصلوا على

حيث كنتم — فان صلاتكم تبغلنى — ماأنتم ومن بالأندلس الا سواء) فكانوا لهذا الهدى أضبط • ولو علم أن غير ابن عمر فعل ذلك لم يكن فى ذلك شبهة لأننا ذكرنا من قبل أنه ليس على الزائر ان كان من المدينة أى حرج فى زيارة قبر الرسول ﷺ هذا بعد أن يتحرى المجىء الى القبر فى أوقات معينة •

وخلاصة القول أنه اذا كان هذا الحال فى زيارة قبر الرسول ﷺ أشرف وأطهر الخلق والصلاة والسلام عليه والدعاء عند قبره • فماذا نقول لهؤلاء الذين لغوا عقولهم واتخذوا من الأضرحة قبلة ومن الطواف حولها سنة ومن العكوف حولها شرعة ؟ •

النذر للأضرحــة

وياليت الأمر وقف بهؤلاء عند هذا الحد فحسب • الا أن هؤلاء جعلوا من أموالهم حقا معلوما (للميت) وليس للســائل والمحروم • فتراهم يقطعون مئات الأميال خصيصا لوضع (المعلوم) فى صندوق النذور • راجين أن يتقبل منهم (الميت المقبور) فيحدث لهـم الفرح والسرور • ولولا اعتقادهم فى أن هذا النذر الذى وضعوه فى صندوق النذور سينفعهم فى الدنيا والآخرة ما وضعوه • لأن مامن رجل يبذل من ماله شىء الا وهومعتقد أن مابذله سيعود عليه بالنفع • والا لمــاذا يبذل ماله ؟ والحقيقة أن مثل هذا النذر تضييع للمــال وليس للناذر بهـذه الطريقة أى أجر على مانذر اذ لو كان يريد التصدق حقا لكان أولى به أن يتحرى ذوى القربى واليتامى والمساكين وكل من له حق فى الصدقة • حتى يفوز بالأجر ويسعد برضاء الله سبحانه وتعالى وان كان القابض للنذر أيضا حرام عليه ماقبضه • لأنه أخذ مال الناذر بغير حق وليس فى مقابلة شىء • أى أخذه بالباطل •

وفى هذا دليل آخر على أن الناذر يضيع ماله بغير حق • اذ أنه يضع ماله فى أيدى من لا يستحقه • وحتى نقف على الحقيقة فى هــذا الأمر • فالى ماأثر عن رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالنذور •

١ ــ عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : أولم ينهوا عن النذر ؟ ان النبى ﷺ قال : (ان النذر لا يقدم شىء ولا يؤخر • وانما يستخرج من البخيل) رواه البخارى •

٢ــ وروى أيضا عن عائشة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : (من نذر أن يطع الله فليطعه ومن نــذر أن يعصيه • فــلا يعصيه) رواه البخارى •

فهذان حديثان صحيحان عن الامام البخارى (رضى الله عنه) • يدل الأول على أن النذر لا يقدم ولا يؤخر وانما يستخرج من البخيل • ويدل الثانى على أن النذر لاطاعة الله • وليس لمعصيته • فاذا كان النذر

فى حالاته الطبيعية لا يقدم ولا يؤخر شيئا فكيف بهذا النذر المشبوه والذى يقصد به غير وجه الله وهو ما عليه القبوريين الآن •

٣ — وعن طارق بن شهاب رضى الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال :

(دخل الجنة رجل فى ذباب • ودخل النار رجل فى ذباب — قالوا : كيف ذلك يارسول الله قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجـوزه أحد حتى يقرب له شىء • فقالوا لأحدهما : قرب • فقال ليس عندى شىء أقربه • فقالوا له : قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار — وقالوا للآخر قرب قال ماكنت لأقرب لأحد شيئا من دون الله • فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه الامام أحمد •

فانظر يأخى المسلم الى هذا الحديث القيم وانظر الى أى مدى يكون النذر لغير الله محرما بل ويوجب دخول النار • وانظر الى أى مدى كان الآخر متمسك على أن لايقرب شىء وذلك لخطورة ما وقع فيه صاحبه • بل فضل أن يقتـل فى سـبيل الله على أن لا يوافقهم على ما يدعونه اليه •

وليعلم أيضا أن الذى دخل النار لكونه قرب ذبابا • كان مسلما اذ لو لم يكن مسلم ماكان هناك داعى لأن يقول رسول الله ﷺ (فـدخل النـار) •

وليعلم أيضا أنه لا فرق بين من يقرب نذرا لصنم ومن يقرب نذرا لضريح من الأضرحة •

لأن عمل القلوب واحد وهو : النذر لغير الله ، ومادام عمل القلوب واحد فالمصير واحد أيضا •

(هذا فى حالة اصرار المسلم على هذه المعصية الا أن يتوب منها)•

فاذا كانت النار قد وجبت على من ينذر لغير الله شيئا — ولو كان هذا الشىء مجـرد ذبابا فكيف بمن يقربون الأبقـار والأغنـام والأموال لغير الله أيضا ؟

قال : الشيخ قاسم الحنفى فى شرح درر البحار :

النذر الذى ينذره أكثر العوام على ماهو مشاهد كأن يكون للانسان غائب أو مريض أو له حاجة ، فيأتى الى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه ستره ويقول ياسيدى فلان ، ان رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى لك من الذهب كذا أو الطعام كذا أو من الماء كذا أو من القمح والزيت كذا فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه منها : أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لايجوز لأنه عباده والعبادة لاتكون لمخلوق ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر الى أن قال : اذ علمت هذا . فما يأخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل الى ضرائح الأولياء تقربا اليها ، فحرام باجماع المسلمين .

الذبح للأضرحـــة

وهكذا الحال أيضا لمن يأتون بالنحائر أمام الأضرحة • فاذا مارأيت القبورى من هؤلاء يجر وراءه ماقصدة للنحر • بل تراه يصرح بلا خجل ان ماقصده للنحر انما هو — لسيده فلان — وهذا مما لاشك فيه شرك بين ومخالفة لما جاء به كتاب الله من آيات بينات • والدليل قــول الله تعالى : **(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا)** •

ويقول تعالى أيضا : **(ويجعلون لمــا لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم فتالله لتسئلن عما كنتم تفترون)** •

ويقول تعالى : **(فصلى لربك وانحر)** •

ويقول تعالى : **(قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لاشريك له)** •

وربما يقول آخر انى أقصد بالذبح هنا أهل الله وهو لا يدرى أنه يغر من الحقيقة التى يخفيها بداخله • لأنه لو قصد أهل الله حقا بما نحر • لما قصد القبر وذبح عنده وذلك بعد أن تحمــل أعباء الســفر ومشقته • هذا بخلاف وجود أهل الله فى كل مكان وليس عنــد ضريح الميت فحسب •

وان كان من يقول ذلك يخفى وراءه عقيدة فاسدة ألا انها لا تخفى على من شم رائحة العلم • ولولا اعتقاده بأن مانحره أمام الضريــح أنفع له من أن ينحر فى أى مكان آخر ماكان له أن ينحر •

وليعلم أن رسول الله ﷺ نهى الناس أن يتحروا من تلك الأماكن لينحروا عندها •

والدليــل :

١ — عن عمر بن سعيد عن أبيه عن جده أن امرأة قالت يارسول الله انى نذرت أن أنحر بمكان كذا وكذا مكان يذبح فيه أهل الجاهليةقال

لصنم ؟ قالت لا • قال لوثن ؟ قالت : لا قال أوف بنذرك رواه أبو داوود •

٢ — عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر ابل ببوانه فسئل الرسول ﷺ فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا قال : فهل كان فيها عيدا من أعيادهم ؟ فقال : لا فقال الرسول ﷺ : أو فى بنذرك فانه لاوفاء للنذر فى معصية الله ولا فيما يملك ابن آدم) رواه أبو داوود •

فانظر رحمك الله الى الرسول ﷺ وهو يبعد كل شبهات الشرك والتردى فى عادات الجاهلية • فبرغم أن الرجل ماكان سيذبح ، الا الله • لم يرخص له الرسول ﷺ فى أن يذبح الا بعد أن تأكد من أن المكان الذى سيذبح فيه كان خاليا أيضا من أفعال المشركين •

وأعتقد أنه بعد هذا الهدى المنير — علمنا حقيقة هؤلاء الذين يأتون بذبائحهم عند الأضرحة قائلين ان هذه الذبائح — لأسيادنا !

٣ — روى الامام على رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ بأربع كلمات : (لعن الله من ذبح لغير الله • لعن الله من لعن والديه • لعن الله من آوى محدثا • لعن الله من غير منار الأرض) رواه مسلم •

وهذا الحديث يبين أيضا أن من ذبح لغير الله فهو ملعون من الله ورسوله ﷺ كالذى يقول هذا لسيدى فلان وهذا لسيدى فلان — أما قوله لعن الله من لعن والديه — أى يسب الرجل والدى الآخر فيسب الآخر والديه • فيكون الأول بذلك لعن والديه أما قوله — لعن الله من آوى محدثا — أى لعن الله من يستر رجل أحدث أمرا فيه حق لله أو فيه حق للعباد • أما قوله ، لعن الله من غير منار الأرض — فمعناه الذى يضيع الحدود بين الجار وجاره فيضم الرجل جزء من أرض جاره الى أرضه بتغيير الحد الذى يفصل بينهما •

النهى عن الذبح عند القبور عامة والدليـــل مارواه أبو داوود فى السنن عن الرسول ﷺ أنه قال « غفر فى الاسلام » •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب ــ اقتضاء الصرط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم ــ وأما الذبح هناك فمنهى عنه مطلقا ذكره أصحابنا ــ يقصد الحنابلة ــ وغيرهم لهذا الحديث وقال أحمد فى هذا الحديث « لاعقر فى الاسلام كانوا اذا مات لهم الميت نحروا جذورا على قبره فنهى النبى ﷺ عن ذلك وكره أبو عبد الله أكل لحمه •

قال أصحابنا : وفى معنى هذا ما يفعله كثير من أهل زماننا فى التصدق عند القبر بخبز أو نحوه •

أصنام فارغة ــ وأحجـــــار تعبد

وبعد كشف القناع عن معتقدات القبوريين الفاسـدة من ناحيـة اتخاذهم القبور مساجد أو اتخاذ المساجد قبور ــ واحتفالهم بأموات هذه القبور ــ واعتقادهم الفاسد بأن أموات هذه القبور يملكون كشف البليات والعاهات ، والنذر والذبح لهم وبعد أن بينا بتوفيق الله هدى الرسول ﷺ وما أثر من أفعال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وأقوالهم فى المسائل التى تعرضنا لها سابقا وكذلك ما أثر من أقوال علماء الأمـة كان لابد قبل أن نختم هذه الرسالة أن نذكر أيضا تحقيقا حول مايدعيه البعض من أن رأس الحسين قد دفنت بالقاهرة وأن هذا المقام المسمى باسمه هو مكان دفن الرأس ــ وكذاك أيضا بالنسبة لما يقـــال بأن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما قد دفنت بمصر وان هذا المقام لها بالقاهرة هو مكان دفنها ــ وكذلك أيضا كشف الحقيقة بالنسبة لبعض الأضرحة الأخرى حيث يدعى البعض من العامة أن بها أوليـاء يرجع نسبهم الى الرسول ﷺ مثل ــ خميس ــ ساكن شبين الكوم ، شبل ــ ساكن الشهداء وغيرهم من أصحاب المقامات الفارغة • ولنبدأ أولا بالأكذوبة الكبرى وهى الأكذوبة القائلة بأن رأس الحسين رضى الله عنه بالقاهرة •

حيث يقال ان الرأس انتقلت من دمشق الى عسـقلان ــ فلمـا استولى الأفرنج على عسقلان فى الحروب الصـليبية ــ انتقلت الرأس الشريفة بعد ذلك الى القاهرة بواسطة ابن روزيك والذى دفع ثلاثين ألف درهم مقابل نقلها الى القاهرة • حيث دفنت بهذا المشهد المسمى بمشهد الامام الحسين ! وردا على هذا الزعم الباطل فانى أذكر هنـا ماقاله الامام القرطبى فى هذه المسألة •

قال الامام رحمه الله فى التذكرة :

(••• واختلف الناس فى موضـع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد ؟ فذكر الحافظ أبو العلا الهمذانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به الى المدينة فأقدم اليه عدة من موالى ابن هاشم وضم

اليهم عدة من موالى أبى سفيان ثم بعث بنقل الحسين ومن بقى معه من أهله معهم وجهزهم بكل شىء • ولم يدع لهم حاجة بالمدينة الا أمر لهم بها وبعث برأس الحسين عليه السلام الى عمرو بن سعيد العاص وهو اذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو — وددت أنه لم يبعث به الى • ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص — برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليهما الصلاة والسلام (هذا أصح ماقيل فى ذلك) ولذلك قال الزبير من بكار : ان الرأس حمل الى المدينة والذبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب حدثنى بذلك مذهور ابن حسن المخزومى النسابة • والامامية تقول : ان الرأس أعيد الى الحبشة بكربلاء بعد أربعون يوما من القتل وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه — زيارة الأربعين — (وما ذكر أنه فى عسقلان فى مشهد هناك — أو بالقاهرة فشىء باطل لا يصح ولا يثبت) أ — ه •

وكذلك أيضا فقد وجهه سؤال الى الامام ابن تيميه رحمه الله عما اذا كانت الرأس قد دفنت بهذا المشهد القاهرى أم لا ؟ فكان مما قاله الامام :

وما زال الناس فى مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهرى من المكذوبات المختلقات • ويذكرون ذلك فى المصنفات حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك فقد ذكره أبو الخطاب بن دحيه فى كتاب — العلم المشهور — فى هذا المشهد فضلا عما ذكره فى مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالاجماع • وبين أنه نقل من عسقلان فى آخر الدولة العبيدية، وانه وضع لأغراض فاسدة • وانه بعد ذلك بقليل أزال تلك الدولة وما فيها بنقيض قصدها • ومازال ذلك مشهورا بين أهل عصرنا من ساكنى الديار المصرية • القاهرة وما حولها •

لقد حدثنى طائفة من الثقات عن الشيخ أبى عبد الله محمد بن على القشيرى المعروف بابن دفير العبد ، وطائفة عن الشيخ أبى محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى • وطائفة عن الشيخ أبى محمد بن القسطلانى • وطائفة عن الشيخ أبى عبد الله القرطبى ، صاحب التفسير وشرح أسماء

الله الحسنى ، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الدرينى • كل من هـؤلاء حدثنى عن من لا اتهمة ، وحدثنى عن بعضهم عدد كثير • كل يحدثنى عن من حدثه من هؤلاء • انه كان بنكر أمر هذا المشهد ويقول : انـه كذب ، وليس فيه الحسين ولا رأسه • والذين حـدثونى عن ابـن القسطلانى ذكروا عنه أنه قال : ان فيه نصرانيـا ! بل ان القرطبـى والقسطلانى ذكرا بطلان هذا المشهد فى مصـنفاتهما • وبينا فيها أنه كذب كما ذكره ابن الخطاب بن دحيه • وابن دحيـه هو الذى بنى له الكامل دار الحديث الكاملية وعنه أخذ أبو عمر وابن الصلاح ونحوه كثيرا مما أخذوه من ضغط الأسماء واللغات ، وليس الاعتماد فى هـذا على واحد بعينه • بل هذا اجماع من هؤلاء •

ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد فى مثل هذا أعلم وأدين من هؤلاء ونحوهم فاذا كانوا متفقين على أن هذا كذب ومين علم أن الله قد برأ منه الحسين ، وحدثنى من الثقات • أن من هؤلاء من كان يوصى أصحابه بأن لا يظهروا ذلك عنه !، خوفا من شر العامة بهذه البلاد ، لما فيهم من الظلم والفساد واذ كانوا فى الأصل رعية للقرامطة الباطنيين••

هذا جزء مما قاله الامام ابن تيمية شيخ الاسلام رحمه الله ونور الله قبره نكتفى بذكره لما فيه الكفاية لبيان الحقيقة •

أما بالنسبة لما يقال من أن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما جاءت الى مصر وان هذا المقام المسمى باسمها انما هو مكان دفنها فهو قول قد بنى على الوهم والخيال • فهاهو الامام الطبرى شـيخ المفسرين والمؤرخين فى نفس الوقت لم يذكر رحيـل السيدة زينب الى مصر فى تاريخه المشهور كذلك أيضا بالنسبة لغيره من العلماء والمؤرخين فان ابن حجر رغم أنه تعرض لسيرة السيدة زينب فى كتابه نجد أنه لم يذكر أنها رحلت الى مصر ودفنت بها •

أما على مبارك فيقول فى الجزء الخامس من مؤلفه (الخـطط التوفيقية)•

« لم أرى فى كتب التاريخ أن السيدة زينب بنت على رضى الله عنهما جاءت الى مصر فى الحياة أو بعد الممات » •

أما المحقق والمؤرخ أحمد زكى باشا فيقول :

« الذى يشهد به العارفون بالحق الصريح هو أن السيدة زينب بنت الامام على وأخت الامام الحسين لم تشرف أرض مصر بوطىء قدمها المباركة » مطلقا .. مطلقا .. مطلقا — والحق الذى ليس بعده الا الضلال أنها قضت بقية حياتها بالحجاز ، الى أن انتقلت الى جوار ربها بالمدينة المنورة — فكان دفنها بالبقيع — هذا هو الصواب وماعداه فافك وبهتان « ا . هـ » .

ويبين أحمد زكى أيضا كيف يعتقد بعض السذج أن السيدة زينب رضى الله عنها هى صاحبة هذا المقام المسمى باسمها فيقول :

« ان هذا الضريح لم يكن له وجود ولا ذكر فى عصور التاريخ الاسلامى الى ماقبل محمد على بسنوات معدودة حين وفد الى القاهرة أحد الأغوات يدعى عثمان كتخذا » فاغتنى بمصر وأحرز ثروة طائلة وكان طيب السيرة فوسوس له بعض المشايخ أن يبنى له جامعا على ضريح فى تلك البقعة ولا أدرى كيف وضعوه لامرأة تسمى زينب .. ثم تسللت الأكاذيب فجعلوها زينب بنت الامام علي رضى الله عنهما . ثم يقول من أكذب الكذب وفى منتهى الافك والبهتان أن يقول انسان يحترم الحق — ويحترم عقل نفسه . ان السيدة زينب بنت الامام على قد اختارت الاقامة بديار مصر أو أن يزعم بأنها هى المدفونة بالقاهرة ا . هـ . وبعد هذا البيان الفاصل من قبل علماء الاسلام المشهود لهم بسلامة العقيدة وحسن السيرة والجدية فى النقل عن مشائخهم أسأل الله أن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق !

صور حية من حياة القبوريين

— ١ —

٧٣٥٧٣٤

شبل — ابن من ؟

فى مدينة الشهداء ضريح مقام داخل مسجد يسمى بمسجد سيدهم شبل ويزعم البعض أن هذا الضريح به جسد (شبل) بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ ويزعمون أن المدينة سميت بالشهداء نتيجة للمعركة التى نشبت بين محمد شبل قائد الجيش العربى — وبين قوات الجيش الرومانى سنة ٦٥ هـ .

وواضح جدا أن هذا الكلام ما هو الا تخمين وافتراء على الحقيقة التى ضاعت بين هؤلاء المهرجين . حيث أن المحققين والمؤرخين الذين تعرضوا لسيرة (الفضل بن العباس) رضى الله عنهما اتفقوا جميعا على ان الفضل بن العباس رضى الله عنهما — لم ينجب الا بنتا واحدة اسمها (أم كلثوم) وقد تزوجت الحسن بن على رضى الله عنهما — ثم طلقها فتزوجت بعد ذلك أبو موسى الأشعرى — ومن ذلك يتضح أن الفضل بن العباس رضى الله عنهما لم يكن له أبناء ذكور — وأن الفضل بن العباس قاتل مع النبى ﷺ يوم حنين وثبت معه وشهد معه حجة الوداع وقد قتل فى الشام بعد أن خرج اليها مقاتلا وبالضبط فى أجنادين (بفلسطين) وذلك سنة ١٥ هـ فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومن هذا التحقيق السابق يتضح أن سيدهم (شبل) ماهو الى خرافة جديدة مضافة الى ما سبق من الخرافات — اذ أنهم قالوا : أن شبل بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ ولم يتضح ذلك من كتب التاريخ الثابتة والتى لاينكر صحتها الا جاحد — فهل سنجد منكم من يخبرنا عن حقيقة سيدكم (شبل) ويقول لنا ابن من هو ؟ أم ستبحثوا له عن أب آخر ؟

الطريف فى هذا الأمر أيضا أن الشيخ محمد خليل الضبع وهو من المعروفين فى مدينة الشهداء . اعترف لى بأن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ لم ينجب الا بنتا واحدة اسمها أم كلثوم .

لكنه أدعى فى نفس الوقت أن هذا الضريح به جسد أحد الأولياء المنسبين !! وعلى الفور ذهبت الى الشيخ الأحمدى غزالة المفتش العام لمساجد المنوفية وأمليت عليه ماقاله لى الشيخ محمد خليل الضبع — فقال لى الشيخ الأحمدى غزالة والذى فاجأنى بأن له بحث جيد فى هذا الموضوع !

ان ماتقول به الشيخ محمد خليل الضبع لا يصح منه شىء ثم استطرد الشيخ قائلا ٠

١ — ان الفضل بن العباس لم ينجب الا بنتا واحدة اسمها أم كلثوم — وهذا فى كتاب (أسد الغابة — فى معرفة أسماء الصحابة)٠

٢ — ان الذى فتح منطقة الشهداء ومنوف فى الفتح الاسلامى هو وردان مولى عمرو بن العاص ٠

٣ — قال ياقوت الحموى فى (معجم البلدان) ان الشهداء الذين هم بجوار سرسنا كانوا فى معركة بين جيش عبد الله بن الزبير بقيادة عبد الرحمن بن جحدم — ومروان بن الحكم وهؤلاء الشهداء كانوا فى حرب بين المسلمين وبعضهم ٠

٤ — وفد رجل صوفى !! من القاهرة يسمى — أحمد الحسبى المصرى على الشهداء سنة ١٠٤٣ وأنشأ زاوية وقال للناس هنا فلان — وهو أول من أطلق هذه الأسماء مثل — شبل ، على الطويل ، المركبى ، الأربعين بجوارهم وكان صاحب طريقة صوفية !! ودعى تلاميذه الى أن يتفرغوا له وأن يقوموا بنسج الخوص وعمل القفف والمقاطف ! ثم تباع ويعيش منها الجميع هذا مذكور فى كتاب (خلاصة الأثر) للمحبى (أ ٠ هـ) ٠

وعلى افتراض أن ماقاله الشيخمحمد خليل الضبع من أن هذا الضريح به أحد الأولياء المنسبيين — فمعنى ذلك — أنه يقر ويعترف بأن — شبل بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ ماهو الا وهم وخيال — ومن ثم فان هذا الذى كان يقصد بالزيارة والطواف والنذور والذبائح والاحتفال به كل عام — ليس له — أصل — ولا فصل — ولا مدرسة !!

والسؤال هنا ؟ الى من تذهب الجيوش الآن ؟ !
أالى سيدهم شبل الخرافى ؟

أم الى الوجه الجديد والذى ظهر على الشاشة مؤخرا ؟؟

اذا كان الوجه الجديد هو المقصود بالزيارة والاحتفال به — فهذا ان دل على شيء • فانما يدل على أن هؤلاء ماهم الا عبادا لكل ماهو ضريح اذ كان مقصود الزيارة والاحتفال من قبل شبل بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ !!

أما اذا كان المقصود من الزيارة والاحتفال به كل عام هو سيدهم شبل — فعلى الجيوش أن تعلن هزيمتها فورا لهروب الأمير من ساحة الميدان (١) !

---

(١) ومما يؤسف له ويؤكد أن غير العامة من المثقفين يعتقدون ان شبل هو ابن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ ماذكره الأستاذ — محمد زاهر بديو مفتش الآثار بجريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/٥/٥ حيث قال حين تعرض لهذا الاسم (شبل) انه ابن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ • وكذلك ايضا فقد ذهب أحد محررى الصفحة الدينية بجريدة الأهرام الى نفس ماذهب اليه الأستاذ محمد بدير وذلك حين أراد التنبيه على دولة الدراويش فى مصر عن بدء الاحتفال بعيد ميلاد (شبل)

ومن منطلق حسن الظن من أن المورطين فى هذا الفهم الخاطىء قد لا يعلمون أن الفضل بن العباس رضى الله عنهما لم ينجب الا بنتا واحدة اسمها أم كلثوم وليس له أبناء — فانى أدعوهم الى قراءة كتب التاريخ والتى سيأتى ذكرها فى سلسلة مصادر البحث بمؤخرة الكتاب .

— ٢ —

خميس خرج ولم يعد

وفى مدينة شبين الكوم مسجد يسمى بمسجد (خميس) وهذا المسجد يقع بالقرب من محطة قطار المدينة • وكالعادة فالناس يعتقدون أن هذا المسجد قد دفن به وليا من أولياء الله يدعى (خميس) خاصة وأن هذا المسجد كان به ضريح يقال ان به جسد (خميس) وفجأة يفكر البعض فى ترميم هذا المسجد واعادة بناؤه من جديد • وكان هذا الضريح ضمن التجديد لأسباب فنية تليق والتخطيط الجديد للمسجد وعندما حان وقت هدم الضريح — كان الكل فى حالة تأهب شديد • فبعد أن تتم عملية الحفر سيتم العثور على المطلوب اثباته حتى يكيدوا به العزال ! ولكن بدأ الحفر على (بركة خميس)وظل الحفر جاريا وكلما زادوا فى الحفر كلما ظهرت عليهم علامات الخيبة المركزة والخسران المبين • ففجأة أخرجت الأرض ماءها ولم يتم العثور على أى أثر لسيدهم (خميس) ولا حتى على كرامة واحدة قد تكون متعثرة تحت حجر ما • ومصيبة الذين يعتقدون فى من ليس له أثر أنهم أقاموا له احتفالا ضخما لا يقل فحشا وجرما عن بقية الموالد • ليتحقق المثل القائل (مولد وصاحبه غائب) وقد قمت بالفعل بزيارة هذا المسجد حتى أشاهد على الحقيقة المكان الذى كان به الضريح السابق وكان ذلك بصحبة أحد المسئولين حيث رأيت التخطيط الجديد للمسجد والحجرة التى كنت أقصد رؤيتها •

وللاسف الشديد علمت بعد ذلك أن هذه الحجرة ربما تكون خاصة بالضريح الذى سيتم بناؤه من جديد بدلا من الضريح الآخر حتى يحجوا اليه من كل فج عميق وينذروا ويذبحوا له ويطلبوا منه العون والمدد والبركات •

ورغم ظهور الحقيقة فقد ادعى بعض السذج محاولين اسدال الستار على الحقيقة أنهم شاهدوا سرداب تحت الأرض وأن هذا السرداب متجه ناحية طنطا ! أى أن (خميسهم) رحل سرا الى طنطا حيث ضريح (البدوى) ! ولنا هنا سؤال وهو هل قانون الاسكان الجديد فى دولة القبوريين يبيح التعايش بين اثنين من الأولياء فى مقام واحد ؟ ! (١) .

---

(١) يقول البعض ان (خميس) منسب — أى يرجع نسبه الى الرسول ﷺ وهذه عادة تجار الأضرحة وعباد القبور — فهى لعبة خطيرة يتم على أثرها اصطياد العامة من الناس — ولو أن هذا الاسم له اثر فى كتب التاريخ أو الفقه أو أى علم آخر لقمنا بالتحقيق فى مسألة النسب — ولكن كيف تحقق فى معرفة اسم ما فى الوقت الذى لا يعرف عن هذا الاسم أى شىء ! ثم لنفترض أن هناك منسب ما حيا كان أو ميتا — ما الذى يملكه — مرة ثالثة نقول أن الرسول ﷺ كان لا يملك لاحد نفعا ولاضرا وهو بين أهله وصحابته الكرام .

وقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبر الناس بذلك — حيث قال له (قل لا أملك لكم ضرا ، ولانفعا الا ماشاء الله) وأمره فى موضع آخر أن يقول (قل اننى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) .

فاذا كان الرسول ﷺ لايملك لاحد ضرا ولانفعا وهو حى فكيف بمن دونه وقد طوته الارض ياقوم (لاتذر وازرة وزر أخرى) ياقوم (ليس للانسان الا ما سعى) ياقوم (ان اراد الله بكم شيئا فلن يمنعه الدسوقى — أو البدوى — أو الرفاعى أو خميس — أو جمعه — أو شبل الخراف — أو أى مخلوق على وجه الارض حتى لو كان نبيا . .

— ٣ —

هزيمة الأربعين بميت خاقان (١)

وفى قرية ميت خاقان أيضا ـ وهى بجوار مدينة شبين الكوم ـ كان يقام بها كل عام مولد ـ لرجل أسموه بسيدهم الأربعين نظير أن بالقرية مسجد به ضريح ـ ولما كان المسجد به ضريح ـ فلابد وأن يكـــون به (ولى) كما هو معروف عند البعض ـ وفجأة وبدون انذار ـ تم الغـــاء هذا الأربعين ـ وكانت المفاجأة أنه لم يتم العثور على ما كان يطـــاف حوله ويذبح وينذر له ويطلب منه المدد والبركات !! الا أننا نحمد الله . فالقبوريون هنا لم يستخرجوا الى الآن (بدل فاقد) للضريح مثلما فعلوا سابقا مع سيدهم (شبل) !

(١) أسطورة سيدهم الأربعين أسطورة مشهورة بين كثير من الناس فى اماكن متفرقة والى الآن لم أقف على حقيقة هذا الاسم ولماذا يسمى بسيدهم الأربعين بالذات أولم لايسمى بسيدهم العشرين مثلا ؟ اللهم الا اذا كان سيدهم الأربعين من أصحاب الأبدال وله فى كل بلد بدل .

— ٤ —

وشهد شاهد منهم

وقد يظن البعض أن هناك تجاوزا بالنسبة لما أوردناه تجاه بعض الأضرحة ومافيها وما يدور حولها • وحتى لا يبقى ظن مع أحد فان نفر من القبوريين أنفسهم يقطعون الشك باليقين ويقدموا لنا صورة حية مما هم عليه لتكون خير شاهد على مانتكلم به والصورة عبارة عن اعلان لحضور عيد ميلاد طفل ميت حيث افتتح الكاتب الاعلان بقول الله تعالى **« قل لا أسئلكم عليه من أجر الا المودة فى القربى »** ولا أدرى ما علاقة هذه الآية الخاصة برسول الله ﷺ وقومه وهذا التهريج ؟ وبعد ذلك يدعو الكاتب الى حضور الأخ الكريم والأخت الكريمة ويلاحظ أن هذه دعوة للجمع بين النساء والرجال • ولم يذكر الكاتب لماذا الرجال والنساء معا !! ألم تكن الرجال تكفى ! ولم يذكر أيضا لماذا طالب النساء بالحضور !! ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد حرم الاختلاط بين النساء والرجال ولكن لأن هؤلاء لهم دين آخر وشرع آخر فانهم يعتقدون أن الجمع بين النساء والرجال هو من السنن المؤكدة فى شرع الموالد ويسمون هذا الاختلاط ــ مخاوية !!

والآن مع (صاحب الفرح) قطب الأقطاب ولى الأحباب سيدهم أشرف وما أدراك ما أشرف انه طفل لم يبلغ من العمر الا خمس سنوات تقريبا ورغم ذلك جعلوا منه وليا وسيدا وقطبا والبقية تأتى والمصيبة ان ادارة الضريح المكلفة بخدمة سيدهم أشرف ستحتفل بمولده لمدة أسبوعين ولا أدرى كم تكون مدة الاحتفال لو أن سيدهم أشرف كان يبلغ من الكبر عتيا ؟؟ ومن هنا فانى التمس العذر لهؤلاء الذين يبيتون أمام أحمد وابراهيم ــ أقصد البدوى والدسوقى وغيرهم ركعا سجدا يبتغون فضلا منهم ورضوانا •

بعد ذلك يحاول الكاتب بطريقة (جهنمية) استدارج المدعوين فيقول (حيث تقام حلقات الذكر والأناشيد الصوفية المباركة ؟)

والغريب أنه قبل أن يختتم الاعلان يتمنى للأمة الاسلامية الخير وواضح جدا مدى الخير الذى تعيشه الأمة الاسلامية فى ظل عباد القبور •

دعــوة

«قــل لا اسالكم عليه أجرا الا المودة فى القربى »

(صدق الله العظيم)

أيها الأخ والأخت الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد حل موعد لقائكما بمولد ولى الله أشرف الرفاعى الحســينى عترة رسول الله ﷺ ولهذا فسوف تحتفل ادارة ضريحه العامر باحياء مولده ابتداء من أول شهر رجب عام ١٣٩٨ هـ الموافق ٧ يونيه عام ١٩٧٨م امتدادا لمدة خمسة عشرة يوما تنتهى يوم ١٥ رجب عام ١٣٩٨ هـ الموافق ٢١ يونيه عام ١٩٧٨ م ٠

(حيث تقام حلقات الذكر والأناشيد الصوفية المباركة)



وسوف يشــهد جمعكم موكبه الصوفى عقب صلاة العصر مبتــدأ من مسجد الامام الشافعى امتدادا حتى ضريحــه بجــوار مسجد بن عطا الله السكندرى ٠

وذلك فى يوم احتفــاله بالليلة الختامية وكل عام والأمة الاسلامية بخير ٠

والأمل عــدم التخلف ،،،

القائم على ادارة الضريح

نائب السادة الرفاعية !

أقوال علمــاء الســلف فى القبــوريين

أولا

خطبة الامام ابن القيم عن القبوريين

يقول العالم الربانى ابن القيم واصفا أحوال القبوريين عنــد الأضرحة :

(... فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا . وقد نزلوا عن الأكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيدا ، فوضعوا لها الجباه ، وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا أنهم قد أربوا فى الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لايبدى ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى الى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من (الميت) ورضوانا . وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله ، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الأصوات ، ويطلب من الميت الحاجات ويسئل من تفريج الكربات ، واغنــاء ذوى الفاقات ، ومعافاة أولى العاهات والبليات ، ثم أنثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين ، تشبيها له بالبيت الحرام ، الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا فى التقبيل والاستلام ، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود ، التى يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه فى السجود . ثم كملوا مناســك حــج القبر بالتقصير هناك والحلاق ، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرابين . وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين ، فلو رأيتهم يهنىء بعضــهم بعضا ويقول : أجزل الله لنا ولكم أجرا وافرا وحظا ، فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام ، فيقول : لا ولو بحجك كل عام .

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم : اذ هى فوق ما يخطر بالبال ، أو يدور فى الخيال . وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام فى قوم نوح ، كما تقدم . وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة الى هذا المحذور ، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه لمـا يزول اليه ، وأحكم فى نهيه عنه وتوعده عليه . وأن الخير والهدى فى اتباعه وطـاعته ، والشر والضلال فى معصيته ومخالفته .

ثانيـــا

خطبـــة الشــيخ : حافظ بن أحمـــد حكمى

عــن القبوريين

والشيخ حافظ ابن أحمد حكمى قصيدة رائعة يبين فيها عقيـــدة القبوريين ويصف فيها أحوالهم عند الأضرحة ـ يقول فى قصيدته : (١)

الله أكبـــر لو رأيت على القبـــور
عــكوفهــم صــبحــا وبالامســـاء

والله أكبـــر لو تـــرى أعيـــادهـــم
جمـــع الرجال معا وجمع النســـاء

واللــــه أكبـــر لو رأيت مســـاجدا
بنيـــت على الموتـــى بـــأى بنـــاء

قـــد زخرفت بحجـــارة منقوشـــة
بالشـــيد قـــد ضربت مع الاعـــلاء

ورءوســـها قـــد زينـــت بأهـــلة
من أنفس المنقـــوش دون مـــراء

قـــد أسرجت ولـــكم على تسريحهـــا
وقفوا الشـــموع لهـــا بأى .. اذاء

كـــم ســـادن قـــد وكلـــوه بشـــأنها
طيبـــا وتنظيفـــا وشـــأن ضـــياء

ويـــلله لـــو قـــد أخـــل ببعض ذا
ماذا يقـــاســـى من ضروب بـــلاء

ولـــكم عليهـــا رايـــة قـــد نشرت
الوانهـــا ســـلبت لقلب الرائى

وكـــرائم الأنعـــام تنحـــر ســـوحها
منـــذورة يـــؤتى بهـــا الوفـــاء

لـــم يفـــردوا رب الســـماء بدعـــوة
بـــل للقبـــور تجابـــوا نـــداء

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول .

يدعــونهم فى كشــف كل ملمــة
فى الجهــر قــد هتفوا وفى الاخفاء

ويعظمونهم بكل عبــــــادة
ياصـــاح فى السراء والضــــراء

وتراه بالـــرحمن يحـــلف
كاذبــا وصــفاته العليا وبالأســماء

لكنه لايستطيع الحلف بالمقبــور ذا
ان لــم يــكن بســراء

زادوا على شرك الـــذين لهــم
بعث الرســول بأصدق الأنبــاء

اذ يخلصــون لدى الكروب وهــولاء
فشــركهم فــى شــدة ورخــاء

بل فى الشدائد شركهم أضــعاف
ماقد أشركــوا فى حــالة السراء

فتــــراه ينذر فى الرخـــاء ببـــدنة
وببــدنتين لدى اشــتداد بــــلاء

وجميـــع مايأتيـــه فـــى سرائه
فلــه بــه الأضــعاف فى الضــراء

تاللــه ماظفــر اللعـــين بمثلهــا
من بعض أهــل الشرعة الغــراء

حتـى اذا مــا هيــأوا لعــدوهم
سـبب الدخــول وسـلم الاغــراء

طمــع العــدو بهــم لنيــل مــراده
منهــم فعــز القــوم باســتجداء

لمــا أســاءوا الظــن بالوحـــيين لكن
أحســنوه بذخــرف الأعــداء

لــم يهتــدوا بالنص بــل اقتفــوا
آراء مــن قــد كــان عنهــا نــائى

نبذوا الكتاب فلم يقيموا نصه
اذ كان ميلهمو الى الأهواء

وعبادة الأوثان قد صارت لهم
دينا تعالى الله عن شركاء

وطرائق البدع المضلة صيروا
سبلا مكان الملة السمحاء

يارب ثبتنا على دين الهدى
وعلى سلوك طريقة البيضاء

واردد بتوفيقى اليها من نأى
ممن قد استهوى أو لو الاغراء

ياربنا فاكشف غطاء قلوبنا
بالنور أخرجنا من الظلماء

واسلك بنا نهج النجاة ونجنا
من حيرة وضلالة عمياء

واجعل كتابك ياكريم أمامنا
ورسولك المقدام للحنفاء

وانصر على الأعداء حزبك
انهم خبطتهمو فتن من الأعداء

راموا بنا السوآى بسوء مكايد
فأقصمهمو يارب للاسواء

واردد الهى كيدهم فى بيدهم
وابدهمو بيدا عن البيداء

أظهر على الأديان دينك
جهرة وشعاره فارفع بدون خفاء

واجعل لوجهك خلصا أعمالنا
بعبادة وولاية وبراء

ثــالثــا

مفتــى الجمهــورية ســابقا يقــول

زيــارة الأضرحــة شرك باللــه

وجه مدير الشئون الدينية بالاذاعة عام ١٩٥٧ الى فضيلة الشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية رحمه الله تعالى سؤا لين يتناولين أمرين هامين : هما زيارة الأضرحة والطواف حولها والتوسل بها • والنــــذ لغير الله ، فأجاب فضيلة المفتى رحمه الله على هذين السؤالين بما يرضى سبحانه وتعالى حيث كانت الاجابة موافقة لمــا تعارفنا عليه من خلال الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف رضى الله عنهم أجمعين •

كان السؤال الأول :

ماحكم الشرع فى زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصــــــورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء •

ج : أود أن أذكر أولا أن أصل الدعــوة الاســلامية يقوم على التوحيد والاسلام يحارب جاهدا كل مايقرب بالانسان من مزالق الشرك بالله ، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحــد هذه المزالق وهى رواسب جاهلية •

فلو نظرنا الى ماقاله المشركون عنــدما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام قالوا له **(مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)** فهى نفس الحجة التى يسوقها اليوم الداعوان للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه •

ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى كلية مع عبادات اسلامية ثابتة فالطواف فى الاسلام لم يشرع الا حول الكعبــة الشريفة ، وكل طواف حول أى مكان آخر حرام شرعا •

والتقبيل فى الاسلام لم يسن الا للحجر الأسود ، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقبله(والله لو لاأنى

رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك) فتقبيل الأعتـاب أو نحاس الضريـح أو أى مكان به حرام قطعا .

وتأتى بعد ذلك مسألة الشفاعة ، وهذه في الآخرة غيرها فى الدنيا ، فالشفاعة ارتبطت فى أذهاننا بما يحدث فى هـذه الحياة من توسـط انسان لآخر أخطأ عند رئيسه ، أو من بيده الأمر ، يطلب اليه أن يغفر له هذا الخطأ ، وان كان هذا المخطىء لايستحق العفو والمغفرة غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة فى الآخـرة ، فهـذه الشفاعة لن تكون الا لمن يرتضى الله لهم أن يشفعوا ، ولأشـخاص يستحقون هذه الشفاعة .

وهؤلاء أيضا يحددهم الله تعالى ، اذن فكل هذا متعلق باذن الله وحكمته ، فاذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أى أحد كان فان هذا عبث لأننا لانستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ، ومن يشفع لهم وعلى ذلك يتضح أن زيارة الأضرحه والطواف حـولها ، وتقبيل المقصورة والأعتاب والتوسل بالأولياء وطلب الشـفاعة منهم : كل هذا حرام قطعا ، ومناف للشريعة ، فيه اشراك بالله .

وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق ، فان كثير من العامة بل ومن الخاصـة ممن لم تتح لهم المعـرفة الاسـلامية الصحيحة يقعون فريسة هذه الرواسب الجاهلية التى تتنافى مع الاسلام واذا أخـذ بالرفق فى هذا الأمر ، فلا بد أنهم سـوف يستجيبـون للدعوة لأن الجميع حريصون ولاشك على التعرف على حقائق دينهم !!

أما السؤال الثانى فهو .

هل يجوز النذر لغير الله ؟ مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشـيته أو ربع ارضه أو مبلغا من المال لأحد الأولياء . وهل يقر الاسلام هذه النذور ؟ .

ج : وردت الآيات صريحة فى أن النذر لا يجوز الا لله .
والنذر لغير الله شرك . فالنذر طاعة ولا طاعة لغير الله . انتهى .

رابعا

فتوى الشيخ محمود شلتوت

هذا وقد سئل فضيلة الشيخ محمود شلتوت أيضـــا عن حكم الاسلام فى اقامة الأضرحة داخل المساجد وحكم الصلاة اليها والصـلاة فيها فأجاب قائلا :

شرعت الصلاة فى الاسلام لتكون رباطا بين العبد وربه • يقضى فيها بين يديه خاشعا ضارعا يناجيه ، مستشعرا عظمته • مســتحضرا جلاله ملتمسا عفوه ورضاه ، فتسمو نفسه وتزكو روحه ، وترتفع همته عن ذل العبودية والخضوع لغير مولاه •

« اياك نعبد واياك نستعين » •

وكان من لوازم ذلك الموقف • والمحافظة فيه على قلب المصلى • أن يخلص قلبه فى الاتجاه اليه سبحانه ، أن يحال بينه وبين مشـــاهد من شأنها أن تبعث فى نفسه شـــيئا من تعظيم غير الله ، فيصرف عن تعظيمه الى تعظيم غيره ، أو الى اشراك غيره معه فى التعظيم •

ولذلك كان من أحكام الاســـلام فيما يختص بأماكن العبـــادة تطهيرها من هذه المشاهد •

«وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » (١) ، **« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع الســـــجود »** (٢) **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله »** (٣) **« وأن المساجد لله فلاتدعـــوا مع الله أحدا** (٤) •

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة البقرة •
(٢) الآية ٢٦ من سورة الحج •
(٣) الآية ١٨ من سورة التوبة •
(٤) الآية ١٨ من سورة الجن •

تسرب الشرك الى العبادة :

ومازل العقل الانسانى وخرج عن فطرة التوحيد الخالص — فعبد غير الله ، أو أشرك •• غيره فى العبادة والتقديس — الا عن طريق هذه المشاهد التى اعتقد أن لأربابها والثاوين فيها صلة خاصة بالله ، بها يقربون اليه ، وبها يشفعون عنده ، فعظمها واتجه اليها ، واستغاث بها ، وأخيرا طاف وتعلق ، وفعل بين يديها كل ما يفعله أمام الله من عبادة وتقديس •

لا تتخذوا القبور مساجد :

والاسلام من قواعده الاصلاحية أن يسد بين أهله وذرائع الفساد ، وتطبيقا لهذه القاعدة : صح عن النبى ﷺ أنه قال (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك) • نهى الرسول ، وشدد فى النهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وذلك يصدق بالصلاة اليها ، وبالصلاة فيها ، وأشار الرسول الى أن ذلك كان سببا فى انحراف الأمم السابقة عن اخلاص العبادة لله ، وقد قال العلماء انه لما كثر المسلمون ، وفكر أصحاب الرسول فى توسيع مسجده ، وامتدت الزيادة الى أن دخلت فيه بيوت أمهات المؤمنين ، وفيها حجرة عائشة ، مدفن الرسول ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة تدور حوله مخافة أن تظهر القبور فى المسجد فيصلى اليها الناس ، ويقعوا فى الفتنة والمحظور •

واجب المسلمين نحو الاضرحة :

واذا كان الافتتان بالأنبياء والصالحين ، كما نراه ونعلمه ، شأن كثير من الناس فى كل زمان ومكان ، فانه يجب — محافظة على عقيدة المسلم — اخفاء الأضرحة من المساجد ، والا تتخذ لها أبواب ونوافذ فيها ، وبخاصة اذا كانت فى جهة القبلة • يجب أن تفصل عنها فصلا تاما بحيث لاتقع أبصار المصلين عليها ، لايتمكنون من استقبالها وهم

بين يدى الله ، ومن باب أولى يجب منع الصــــلاة فى نفس الضريح ، وازالة المحاريب من الأضرحة •

وان مانراه فى المساجد التى فيها الأضرحــة ، ونراه فى نفســ الأضرحة لما يبعث فى نفوس المؤمنين سرعة العمل فى ذلك ، وقاية لعقائد المسلمين وعباداتهم من مظاهر لاتتفق وواجب الاخلاص فى العقيــدة والتوحيد •

ومن هنا رأى العلماء أن الصلاة الى القبر أيا كان محرمة ، ونهى عنها ، واستظهر بعضهم بحكم النهى بطلانها ، فليتنبه المســلمون الى ذلك ، وليسرع أولياء الأمر فى البلاد الاسلامية الى اخلاص المســاجد لله كما قال الله :

« وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » •

خامســـا

فتوى فضيلة الشيخ على محفوظ رحمه الله

هذا ولفضيلة الشيخ على محفوظ رحمه الله والذى كان عضوا بهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف كلاما طيبا ذكره فى كتابه المشهور (الابداع فى مضار الابتداع) •

حيث قال بعد أن ذكر بدع اتخاذ المقابر والأضرحة أعيـــاد •

وأما المفاسد التى تنشأ عن ذلك فكثيرة (منها) أن النســـاء قد اتخذن ذلك ميدانا لشهواتهن فيتبرجن تبرج الجـاهلية الأولى ويتزين للخروج الى المقابر والأضرحة بأجمل زينة ويتهتكن بأقبح صـورة : لا دين يمنعهن : ولا أدب يردعهن ، وكثير منهن يركبن على الدواب فى الذهاب والرجوع ويمسهن المكارى (العـربجى) فى اركابهن وانزالهن وتقع المحادثة بينهما كأنه زوجها أو ذو محرم منها وكثيرا مايشـــترك الرجال والنساء الأجانب فى ركوب واحد على ازدحام واحد شديد مع تمام التبرج والزينة ـ والتبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسـنها للرجـال الأجانب وهو من أقبح البدع التى سـتذهب بالقـومية المصرية ان لم يتداركها الله بالغيورين العاملين •

هذا فى الذهاب والعودة (وأما) فى حال زيارتهن للقبر فالأمـر أشنع وأفظع فانهن يخالطن الرجال مع كثرة الخلوات هناك وتيسر الدور وكشيفهن لوجوههن ، وهناك يختلط بهن الشرار من الشبان فى مـزاح ومداعبة وكثرة ضحك مع الغناء فى مجموع الخشية والاعتبار والذل ، وخروجهن على هذه الأحوال نهارا محل ريبة فكيف به ليلا •

(وعلى الجملة) فما يترتب على خروجهن الى المقابر من الفسوق والخروج عن حدود الآداب كثير مشاهد يستغيث منه الدين وتتألم منه الانسانية ويذهب معه الحياء والمروءة وتتأذى به الأموات فى قبورهم ، لأن أرواحهم خرجت من النوم الى اليقظة ومن الهزل الى الجد وصارت لا تميل الى مثل هذه السفاف بل لا تهوى سوى الحق والكمال ، فكيف

السكوت على هذا من زوج أو ذى غيرة على الدين والعرض فلا حول ولا قوة الا بالله .

ومن هذه المفاسد ما يقع عند الموتى مما يكرهونه ويتأذون منه من الجلوس على المقابر والوطء عليها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه ، وكذا الاستناد اليها فعن عمرو ابن حزم قال : رآنى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم متكئا على قبر فقال : (لا تؤذ صاحب هذا القبر) رواه الامام أحمد ، وكذا البول والتغوط عندها وكثرة اللغط الذى يكون من الازدحام والبيع والشراء وأصوات الأراجيح وغيرها من كل ما يخالف الدين ويحول بين القلوب والخشية وبين الموتى والرحمة مع أن قصد الزيارة انما هو نوال الاحسان الى نفس الزائر الى الميت .

ثم تحدث بعد ذلك عن اهتمام النساء بزيارة القبور — فقال :

ومن المفاسد اهتمام النساء بزيارة القبور واهمال الرجال فقد عكس الشيطان على الناس قضية المشروع فان الزيارة مستحبة للرجال لخبر مسلم : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة) قال الحافظ المنذرى قد كان النبى ﷺ نهى عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال والنساء ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء اهـ .

وسر النهى أولا عن زيارتها أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور فى قوم نوح نهى النبى ﷺ أصحابه فى صدر الاسلام عن زيارتها سدا لذريعة الشرك لكونهم حديثى عهد بكفر ثم لما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن لهم فى زيارتها وعلمهم كيفيتها تارة بفعله وتارة بقوله كما مر فى الأحاديث أول الفصل .

أما زيارة النساء للقبور فمن العلماء من حرمها مطلقا ومنهم من فصل بين الشابة وغيرها . قال فى المدخل انما هذا الخلاف فى نساء ذلك

الزمان وكن على ما يعلم عن عادتهن فى الاتباع ، وأما خروجهن فى هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة أو غيرة فى الدين بجواز ذلك ، فان وقعت ضرورة للخروج فليكن ذلك على ما يعلم فى الشرع من الستر لا على ما يعلم من عادتهن من الذميمة فى هذا الزمان .

ومن المفاسد الفاشية (تقبيل واستلام قبور الأولياء) والأنبياء والعلماء صرح به الامام النووى رحمه الله ، وترخيص بعضهم فى هذا الاستلام وكذا فى تقبيل قبور من ذكروا بقصد التبرك لا سند له (نعم) اذا غلبه وجد وأدب وحال فله حكم آخر !!

ومن المفاسد اتخاذ الملاهى والملاعب عند المقابر وكذا كثرة المزاح والضحك وانشاد القصائد ، يقع هذا فى موطن الخشوع والاعتبار وماهو جدير بالحزن والخشية فعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله يكره لكم ثلاثا : العبث فى الصلاة والرفث فى الصيام والضحك عند المقابر) رواه غير واحد من طرق مختلفة — والرفث الفحش فى القول

ومن البدع السيئة الطواف حول الأضرحة فانه لم يعهد عبادة الا بالبيت وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام للحجر الأسود (قال فى المدخل) فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع لأن التبرك انما هو بالاتباع له عليه الصلاة والسلام ، وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام الا من هذا الباب ، ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة أو بجدران المسجد أو بالمصحف الى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب ، ولمخالفة السنة لأن صفة التعظيم موقوفة عليه صلى الله عليه وآله سلم فكل ما عظمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعظمه ونتبعه فيه .

فتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام اليه كما يفعله بعضهم فى هذا الزمان ، وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه

لا التمسح بجدارنه ، وكذلك الورقة يجدها الانسان فى الطريق فيهـا اسم من أسمائه تعالى أو اسم تعالى أواسم نبى من الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام ترفيعه ازالة الورقة من موضع المهنة الى موضع ترفع فيه لا بتقبيلها ، وكذلك الولى تعظيمـه اتباعه لا تقبيـل يده وقـدمه ولا التمسح به فكذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده أ ـ هـ •

ثم تحدث بعد ذلك عن المبيت فى المقابر فقال :

(ومن هذه المفاسد) المبيت فيها وايقاد السراج والشمع ونحوه على القبور ففى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصـلاة والسلام (لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسراج)رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يتبع الميت بنار فكيف يفعل ذلك على قبره • قال العلامة البركوى فكل ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الكبائر • وقـد صرح الفقهاء بتحريمه اذ لو كان اتخاذ السرج عليها مباحا لم يلعن من فعله • واللعن لما فيه من تضييع المال فى غير فائدة • والافراط فى تعظيم القبور تشبها بتعظيم الأصنام (أ ـ هـ) •

سادســـا

كلمة جريئة لعالم معاصر !

قال الشيخ محمد الغزالى تحت عنوان الموالد فى كتابه (ليس من الاسلام !) •

من تقاليــد الأجانب احتفاؤهم بأعياد ميلادهم ، واســتقبالهم الأعوام الجديدة ، بأحفال تثير فى حياتهم البهجة ، وتملأ نفوســـــهم بالنشاط والأمل •

هذه العادات ــ اذا خلت من المجون والحرام ــ يمكن الابقــاء عليها دون حرج •

واذا نقلناها عنهم لنعرف حسابنا مع الزمن ، ومدى ما قطعنا منه فى الماضى ، ومدى ما نفيد منه فى المستقبل كان ذلك حسنا ، لمن شاء !•

* * *

وهذا شىء غير ما يصنعه المسلومن فى موالدهم •

فقد جرت عادتهم ــ اذا مات فيهم من يحسبونه صــالحا ــ أن يتخذون على قبره ضريحا ، وأن يبنـــوا فوق الضريح قبة مشرفة ، وأن يجعلوا منه مزارا ، وأن يحتفلوا بمولده مرة أو مرتين كل عام !!

وهذا العمل مزيج من معصية وبدعة •

ولا ريبة فى أنه مخالفة كبيرة لتعاليم الاسلام •

وقد تعددت موالد الصالحين (١) فى طول البــلاد وعرضـــها ، وأصبحت أسواقا مألوفة ومواسم معروفة •

وقيل : ان أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون بالقــرن الرابع للهجرة ، فقد ابتدعوا ستة موالد : المولد النبوى ، ومولد الامام على ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ، ومولد الحسن والحسين ، ومولد الخليفة الحاضر •

وبقيت هذه الموالد على رسومها الى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش ، ثم أعيدت فى خلافة الحاكم بأمر الله سنة ٥٢٤ هـ بعد ما كاد الناس ينسونها •

وأول من أحدث الاحتفال بمولد النبى ﷺ الملك المظفر أبو سعيد فى القرن السابع بمدينة « اربل » ، ثم فشــت هذه الموالد ، فى شتى الأقطار وكثر قصادها .

وافتنوا فى تنميقها وابرازها وملئها بما تهــوى الأنفس ، حتى صارت كلمة « مولد » رمزا على الفوضى والزياط والمساخر .

والتقرب الى الله باقامة هذه الموالد ، عبادة لا أصل لها .

بل ان من العصيان لله ورسوله اتخاذ مقابر الصالحين محورا لهذه الحشود ، ومثابة لهذه الأحفال ، حتى ولو كانت مبنية على القــربات المحضــة .

فقد قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على أينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » .

وفى رواية عن سهيل بن أبى ســهيل قال : « رآنى الحســن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر . فنادانى ــ وهــو فى بيت فاطمة يتعشى ــ فقال : هلم الى العشاء . فقلت : لا أريد ! فقال : مالى رأيتك عند القبر ؟ فقــال : سلمت على النبى ﷺ فقال : اذا دخــلت المسجد فسلم ، ثم قال : ان رسول الله ﷺ قال « لاتتخذوا بيتى عيــدا ولابيوتكم مقابر ، وصلوا على ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » .

فاذا كان رسول الله ﷺ كره أن يتخذ الناس قبره ساحة للأطفال ومجمعا للقصاد ، فكيف بقبور غيره ممن نعرف ولا نعرف ؟

على أن المساجد التى تشد اليها الرحال وتبذل فى بلوغها النفقــات معروفة .

وهى ــ كما أحصاها رسول الله لله ﷺ ــ المســجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى .

ومكانة هذه المساجد لم تجئها من احياء مولد بها ، أو من تكريم مقبور فيها ، بل جاءتها لمعان خاصة ، لا مجال لشرحها هنا .

فأولئك الذين يحسبون أنهم يرضون الله باقامة موالد ، لكبار الأولياء أو صغارهم ، يرتكبون بدعا سيئة ، ويهيئون الفرصة لمعاصى منكرة •

والحق أن الموالد من أخصب البيئات للمناكر الظاهرة والمستورة •

ففى ساحاتها الواسعة ينتشر الرقعاء دون خجل ، ويختلط النساء بالرجال فى المأكل والمنام ، وكثيرا ما تقع جرائم الزنا واللواط • ويدخن الحشيش ، وتسمع الأغانى والموسيقى الخليعة ، وتختفى روح الجد وتقدير الأمور • لتحل مكانها قلة الا كتراث ، وقبول الدنيا • •

كما تختفى النظافة من المساجد ، وتضطرب الأوقات والجماعات •

ودعك من أن الوافدين على هذه الساحات لهم عقائد غريبة ، فربما ضن أحدهم على أمة بقروش يبرها بها ، فى الوقت الذى يبسط يده بالنفقة هنا ، اكراما لصاحب المولد ، الذى لا يخيب قاصدا ، ولا يرد طالبا •• !!

وبعض الناس يعتذر لهذه الموالد بأن فيها حلقات لذكر ودروسا للعلم وتلاوة للقرآن ، واطعاما للفقراء والمساكين •

ولو خلت الموالد من الآثام التى سقناها آنفا ، لوجب تعطيلها أيضا ، لمظاهر التدين الفاسد التى تسودها •

فحلقات الذكر ضروب من الهوس وألوان من الرقص الذى يسود له وجه الدين •

أما القرآن المتلو فى هذه الساحات فما ينتفع به قال ولا سامع •

انه غناء مملول النغم ،يتصنع له بعض السامعين شيئا من الاقبال، ريثما يفرغ منه •

وكذلك الوعظ فى دروس الوعظ والارشاد التى ينظمها الأزهر الآن يبغى بها تعليم الجماهير المحتشدة فى هذه الموالد •

تلك كلها محاولات عابثة واهدار لقيمة الذكر الحكيم والحديث الشريف •

ولو افترضنا بعض الخير فى هذه الأعمال ، فانها لا تعد مبررا لاقامة الموالد بعد ما أوضحنا الشرور التى تكتنفها •

وقانون الشريعة فى هذا ، أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح •

قال ابن حجر :

« ألا ترى أن الشارع اكتفى من الخير بما تيسر ؟ وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال رسول الله ﷺ : « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » ؟ •

أى أن النشر — وان قل — لا يرخص فى شىء منه ، والخير يكتفى منه بما أمكن •• !

فكيف نفتح باب شر متيقين لخير موهوم ؟

ثم ما وعاء هذا الخير المزعوم •

عمل لم يفعله الرسول ﷺ ، ولا صحابته ، ولا التابعون لهم باحسان قرونا طويلة • وقد انتهى شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ محمد مصطفى المراغى الى هذا الحكم ، أو الى قريب منه • حيث قال :

« وهناك أمور يعرض لها أن تكون بدعة ، وألا تكون بدعة •

مثلا الاحتفال بمولد النبى ﷺ ، وبيوم الهجرة ، وبالمحمل •

اذا فعلت هذه الأشياء على أنها عبادة وتدين ، كانت بدعة بلا شبهة ، لأنها احداث عبادة لم تكن ولم يؤذن فيها •

أما اذا فعلت على سبيل العادة ، وعلى أن الاحتفال بالهجرة وبمولده ﷺ احياء لذكريات عزيزة ، كانت سببا للخير ، وموجبة للشكر لتنبعث نفس المؤدى الى التمسك بالهدى وبالخلق الكريم ، لم تكن بدعة ، لأنه لم يقصد بها التدين ، ولم يرد احداث شىء فى الدين •

لكن اذا حفت هذه المحدثات — التى ليست بدعا — بما هو بدعة وبما هو مخالف للشريعة حرمت ، لما هو ملابس لها من البدع ، ولما هو ملابس لها من المعاصى •

وكل معصية فشت لا تسمى بدعة •

الناس لأنفسهم فيه العنان ، مما هو مخالف لقواعد الشريعة لا يسمى بدعة ، وانما هو معاص ومحرمات •

وملاحظة ضوابط البدعة يساعد كثيرا على معرفتها •

وقد قلنا : ان أهم الميزات والخواص أن يحدث الشيء على أنه دين يتعبد به وعلى أن يقصد فاعله التعبد والتدين والتقرب به الى الله سبحانه » •

نقول : ولا شك أن الذين يحتفلون بالموالد المختلفة، وينفقون فيها كرائم أموالهم ، ويتجشمون مشاق السفر الى العواصم البعيدة للمشاركة فى احيائها انما يفعلون ذلك على أنه قربى الى الله ، وتكفير للسيئات ، ورفعة فى الدرجات •

ومن ثم فنحن نميل الى تعميم الحكم على هذه الموالد جميعا ، ووصفها بأنها مبتدعات ترفض ولا يتعذر لها •

ومن الوسائل التى يلجأ اليها حكام الجور ، لصرف الناس عن ملاحقتهم بالنقد ، تضخيم الأحداث التافهة وحوك الأساطير حولها ، ثم اشاعتها بين العوام وأشباههم ، ليتلهوا بها زمنا • فاذا فرغوا منها لوحقوا بغيرها ، وهكذا دواليك ، حتى يستقر للحكام الفسقة أمرهم دون نكير •• ! » •

ولعل هذا هو السر فى تطويل قصة « عنترة بن شداد » قديما ، فبلغت أجزاؤها نيفا وستين كتابا ••

وكذلك « ألف ليلة وليلة » وما شاكل هذه الموسوعات الخرافية •

والصحف فى عصرنا هذا ، حين توجه الى اماتة بعض القضايا الكبرى تبرز بدلا منها بعض مآسى الغرام الحرام ، وتفتن فى سرد فصوله الدقيقة •

وأحسب أن تنقيل الجماهير المغفلة من مزار الى مزار ، واخراجهم من حفل لادخالهم فى حفل ، وجعل حياة الأمة سلسلة من هذه الملاهى الدينية الموصولة ــ أحسب أن ذلك كان غاية منشــودة لبعض الحكام السابقين وأن بدعة الموالد كانت وسيلة ناجحة لبلوغ هذا الهدف •

وهل يبقى لأمة ما وقت أو جهد للحق والعلا بعد ما اســتهلكت المساخر وقتها وجهدها ؟

أن الغاء الموالد ضرورة دينية ودنيوية •• !!) •

ســـــابعا

هذا وللدكتور حسن أحمد عمر قصيدة طيبــة عن عباد القبـــور يقول فيها :

يا من ملأتم أرض مصر مساجدا ... وعبدتم الأشـــياخ والكهـــانا
هــل مبدأ التوحيـــد أن القباب ... تقدموا لضريحهـــا القربانا ؟
أم تجعلوا ميتا طــوته يد الردى ... يغيث ويرحم الانســـانا ؟
وهو الذى لوداهمته بعوضـــة ... عجزت قواه فأعلن الاذعـــانا
يا من بنيتم ذا الضريح لجثـــة ... بعد الفنـــاء فولـــدت ديدانا
أقسمت بالله الذى يخــلق الورى ... لو أنكم شـــــاهدتمو الأبدانا
لوضعتموها تحت أنقــاض الثرى ... كيما تعود لأصــلها فتصـــانا
أصحاب أضرحة المســـاجد زمرة ... باعوا الخلود ليشـــتروا البهتانا
قد شـيدوها كى تدر عليهمـــو ... مالا به يتملكـــوا الأطيـــانا
والجــاهلون يبالغـــون بجهلهم ... عبدوا القبور فأصــبحت أوثانا
ومشايخ الطــرق الذين تربعــوا ... فوق الولاية هـــدموا الأديانا
أوحت شياطين الغـــرور اليهمو ... أن خدروا بالفتنـــة الأذهـــانا
يأيها النـــاس الذين تزاحمــــوا ... نحو الضريح جنيتموه الكفرانا
شــــتان بين الخاشـــعين لربهم ... والخاشـــعين لميت شـــتانا
هل أنزل الرحمن « جبريلا » لكم ... بالوحى .. نرجو منكمو التبيانا؟
عودوا الى الله ارجعــوا من غيكم ... توبوا اليه واطلبــوا الغفــرانا
الله أكبـــر فــــوق كل مكابر ... والله أكبر يمحق البطـــلانا ؟

ثامنــــــــا

جريدة الحــزب الوطنى

تحرم الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة !

فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٣/١١/١ قالت جـريدة اللـــواء الاسلامى التى يصدرها الحزب الوطنى الديمقراطى ردا على ســؤال حول حكم الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة •

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد) ومعنى الآية أن السجود ومواضع السجود لاتكون الا لله فهناك يكون التوحيد الخالص ويتوارى كل ظل لكل أحد وينفرد الجو ويتمحض للعبودية الخالصة لله تعالى •

وهذا لا يكون الا فى المساجد الخالية من القبور •

وبدعة جعل القبور فى المساجد بدعة يهودية تسربت للنصارى ثم للمسلمين وهى بدعة من أخطر البدع على عقيدة التوحيد لذلـك • حذر الرسول صلى الله عليه واله وسلم كثيرا بل انه لعن من ابتدعها فى قوله (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه وزاد مسلم والنصارى • وفى مسلم عن عائشة قالت ان أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فقال : ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصـوروا تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة • وهذا النهى المطلق لسد الذريعة والبعد عن التشبه بعبدة الأوثان الذين يعظمون الجمادات التى لاتسمع ولا تنفع ولا تضر ولما فى ذلك من انفاق المال والقاء السرج عليها الملعون فاعله ومفاسد ما يبنى على القبور من المشاهد والقبـاب لا تحصر • وقد أخرج أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن ابن عباس قال (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) • أما من قال بجواز اتخاذ مسجد فى جوار صالح وقصـــد التبرك بالقرب منه فهذا كلام ساقط ومردود بما ورد من الأحـــاديث

الصحيحة والكثيرة منها عن عائشة رضى الله عنها • (كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وقبة) (أولئك شرار الخلق) وكفى به ذما والمراد من الاتخاذ أن اليهود ابتدعوا والنصارى اتبعوا • أما عن الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة فاننى أسوق لك هذا الحديث الشريف الذى رواه مسلم فى صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها ولا عليها • بل ان سيدنا على كرم الله وجهه قال لأبى الهياج الأسدى ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته • وقال ﷺ (لا تجعلوا قبرى وثنا يعبد من دون الله) تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتخصيص ووضع الصندوق ووضع الستائر على القبر والتمسح بجدار القبر وأن ذلك قد تفضى مع بعد العهد وفشو الجهل الى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان فكان فى المنع عن ذلك قطع لهذه الذريعة المفضية الى الفساد وهو المناسب للحكمة المعتبرة فى شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد سواء كانت بأنفسها أو باعتبار ما تفضى اليه •

وردا على سؤال مماثل حول تغير قول الله تعالى (وأن المساجد لله •••••) قالت الجريدة :

هذه الآية يجوز أن تكون حكاية عن الجنة • ويجوز أن تكون من كلام الله ابتداء وهى فى الحالتين توحى بأن السجود •• أو مواضع السجود وهى المساجد لاتكون الا لله تعالى • فهناك يكون التوحيد الخالص ويتوارى كل ظل لكل أحد ولكل قيمة ولكل اعتبار وتكون العبودية خالصة لله الواحد القهار • فلا دعاء لغيره ولا التجاء لسواه ولا شاغل للقلب الا الله • وهذه الآية نص فى تخلية المساجد مما طرأ عليها من بدع مثل ما يفعله الجهلة من طلب المدد من قبور لايدرى عن

مصيره شيئا أو جعله واسطة بينهم وبين خالقهم وقد علموا أن الله قريب منهم لا يحتاج الى واسطة قال تعالى جوابا لمن سأل رسول الله ﷺ عن الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل سبحانه وتعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) •

ومعنى قوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) أى اجتمع عليه الجن متكتلين عليه حين قام يصلى ويدعو ربه مأخوذين بروعة القرآن الكريم واعجازه لذلك لصق بعضهم ببعض فصاروا كأنهم لبدة صرف ليكون كل منهم أقرب لرسول الله ﷺ من أخيه ليسمعه عن قرب •

تعالوا الى كلمة سواء

أيها القبوريون : اعلموا أن الهدى الصحيح هو الهدى الذى كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكـــرام رضى الله عنهم أجمعين وأن من يخالف هذا الهدى ويفترى على الله كذبا ويدعى أنه يتقرب الى الله بأى عمل لم يفرضه الله علينا ولم يحدثنا به رسول الله ﷺ فعمله هذا مردود عليه حتى لو كان صاحب هذا العمل يمشى على الماء ويتربع فى الهواء .

وليكن لنا فى صحابة رسول الله ﷺ أسوة حسنة فيما كانوا عليه من الأعمال اذ أنهم لم يخالفوا رسول الله ﷺ وأنى لهم مخالفة المبعوث رحمة للعالمين وقد علموا قول الله لهم :

« ولكم فى رســول الله أسوة حســنة لمن كان يرجــو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (١) .

فبين الله عز وجل أن من كان حقا يرجو الله واليوم الآخر فليكن له فى رسول الله أسوة حسنة ويحتكم اليه فى كل صغيرة وكبــيرة . ويزن أموره على ذلك وفى ذلك يقول الله تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمــوك فيما شــجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

فدلت الآية على أننا ان لم نحكم رسول الله ﷺ فيما شجر بيننا فلسنا بمؤمنين الا اذا أخذنا بما حكم دون حرج فى الصدور .

فأما « من يشاقق الرسول من بعد أن تبين له الهــدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

فبين الله سبحانه وتعالى أنه مامن أحد يحتكم الى الله ورسوله فى أمر ما ثم يظهر له الحق ويحيد عنه فهذا والعياذ بالله فى نار جهنم .

---

(١) الاحزاب ٢١ .

(٢) سورة النساء ٦٥ .

هذا بخلاف أن طريق المؤمنين هو الطريق الذى كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ٠

فمن سلك غير هذا الطريق وابتدع (طرقا) أخرى — لاتسمن ولاتغنى من جوع فهو من الذين اتبع غير سبيل المؤمنين ٠

اذ يقول الله تعالى :

« يوم يعض الظالم على يديه ويقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا (١) يا ويلتى ليتنى لم أتحذ فلانا خليلا (٢) ٠ لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جائنى » (٣) ٠٠

فهذه الآية تبين أيضا مصير هؤلاء الذين تركوا هدى الحبيب ﷺ وسلكوا طريق الهواجس والخرافات بعد أن ضاقت صدورهم بحدود الله سبحانه وتعالى ٠

ولما كان كلام الرسول ﷺ من كلام الله سبحانه وتعالى فيجب اتباعه فى كل صغيرة وكبيرة ٠ اذ يقول الله تعالى :

(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) (٤) ٠

وعن المقدام بن معد يكرمه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **ألاهل** عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ،وماوجدنا فيه حراما حرمناه ٠ وان ماحرم رسول ﷺ كما حرمه الله) رواه الترمذى ٠

والمعنى أنه لا يحل لمسلم أن يقول لا آخذ الا مافى كتاب الله من حرام وحلال ويعرض عما جاء به الرسول ﷺ ٠ لأن الرسول ما كان يحلل أو يحرم شيئا من تلقاء نفسه ولكن كان بوحى اليه من الله أو كان كلامه بمثابة تبيين وتوضيح لما فى كتاب الله من أحكام يصعب على المسلم استنباطها والدليل قول الله تعالى :

(وما أنزلنا اليك الكتاب الا لتبين لهم الذى أختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٥) ٠

(١،٢،٣) سورة الفرقان ٢٧ — ٢٨ — ٢٩ ٠

(٤) النجم ٤ — ٥ ٠

(٥) سورة النحل ٦٤ ٠

ولذلك قال الله تعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهـــــوا** » (١) •

(فبين الله تعالى أن الأخذ بما جاء به الرسول ﷺ هو الأخذ بما جاء به الله سبحانه وتعالى ويثبت صحة ذلك من قول الله تعالى :

« **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرســلناك عليهم حفيظا** » (٢) •

ثم لو افترضــنا أننا لا نأخذ الا ما فى كتــاب الله فمن أين أتينــا بمواقيت الصلاة وعدد ركعاتها ؟

هذا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر • اذ أن هنــــاك أمور كثيرة أتى بها الرسول ﷺ ولم تكن ظاهرة لنا فى كتاب الله فهل لانأخذ بها لأنها لم تكن ظاهرة لنا ؟

ومن ثم فان الذين يدعون بأنهم يتقربون الى الله تعالى بما ليس فى كتابه الكريم ولا فى سنة رســوله الحبيب عليهم أن يعلمــــوا أن ادعائهم • باطل • باطل • لأن الرسول ﷺ يقول فى الحديث القدسى •

ان الله تبارك وتعالى قال :

« من عاد لى وليافقد آذنته بالحرب • وما تقرب الى عبــد بشىء أحب للى مما افترضته عليه • ولايزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها • ورجله التى يمشى بها • ولئن سـألنى لأعطيتــــه ، ولان استعاذنى لأعيذنه » •

ففى معنى قوله تعالى (وما تقرب الى عبد بشىء أحب الى ممــا افترضته عليه) دليلاً على أن من آراد أن يتقرب الى الله فليتقرب اليه بما افترضه الله عليه • حتى يسعد برضائه ويرزق معيته •فاذا ما ادعى

رجل أنه يتقرب الى الله بشىء لم يفرضه الله ولم يأت به رسـوله الكريم ﷺ ففعله مردود عليه وقد وقع فى لبس • قال تعالى :

« ليبلوكم أيكم أحسن عملا » •

أى أخلصه وأصوبه • فأخلصه أن يكون خالصا لوجـه الله • وأصوبه أن يكون على السنة•فان كان خالصا وليس على السنة لم يقبل منه لكونه محدثة ، والمحدثة بدعة والبدعة ضلالة ، والضلالة فى النـار وان كان على السنة ولم يكن خالصا • لم يقبل لقول الله تعالى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » •

والقبوريون أيضا منقسمون فمنهم من يعلم أن ماهم فيه انما هو من قبيل التهريج وتضييع للوقت أو تحقيق لبعض المآرب ! وكثير منهم يصرح بذلك بين الحين والحين • ومنهم من ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا وهؤلاء من اليسير رجوعهم الى الطريق المستقيم بعد أن يبين لهم بالحجة ماقد وقعوا فيه من لبس ويقع فى هذا الأمر كثير منهم لعدم أخذهم العلم بالأدلة الصحيحة والمتفق عليها من قبل رواة الحديث وائمة التفسير ، فقلما نجد منهم من يتحدث بالدليل الصحيح ، ولهـذا كان الشيطان لايخاف ممن يتعبد لله آناء الليل وأطراف النهار بقـدر ما يخاف ممن يتفقه فى الدين ولذلك قال رسول الله ﷺ •

(من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) متفق عليه •

وما قال رسول الله ﷺ ذلك عبثا • ولكن لعلمه بأن قليل العـلم كثير مايقع فريسة للشيطان •

وقد دعا رسول الله ﷺ لابن عمه الامام ابن عبـاس رضى الله عنهما وقال : « اللهم فقه فى الدين » فاستجاب له الله وصار ابن عباس رضى الله عنهما متفقها فى الدين حتى لقب (بترجمـان القـرآن) أى الخبير بما فيه • ويقول الله تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » •

فبين الله سبحانه وتعالى أن العلماء أشد خشية لله من غـيرهم بفضل ما تحصلوا عليه من علم عرفوا به قدر الله ولذلك قال الامـام مالك رضى الله عنه :

« باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوعا » .

وذلك لأن من سلك طريق العـلم فهو آمن باذن الله من تلبيس ابليس !

فياغاديا فى غفلة ورائحـا ... الى متى تستحسن القبائحـا ؟
وكم الى كم لاتخـاف موقفا ... يستنطق الله به الجـوارحا ؟
ياعجبـا منك وأنت مبصر ... كيف تنكبت الطريق الواضحا؟

وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس يسأله :

القبر باب وكل الناس داخله ... ياليت شعرى بعد الموت مالدار ؟

فأجابه قائلا :

الدار جنة عدن ان عملت بمـا ... يرضى الاله وان فرطت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهمـا ... فانظر لنفسك ماذا أنت مختـار ؟

وأخيرا أتركم مع هذا السؤال الموجه من قبل المولى عز وجـل وأسال الله أن تكون الاجابة عليه بالفعل لابااللسان . وهو :

« أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سـويا على صراط مستقيم » ؟

وسـبحان ربك رب العزة عمـا يصفون

وسـلام على المرسـلين والحمـد لله رب العـالمين

تمت بحمد الله تعالى

سـمير شاهين
كفر المصيلحة

مصـــادر البحث

أولا ـ القرآن الكريم :

ثانيا ـ كتب التفسير :

١ ـ تفسير الامام الطبرى — محمد بن جرير الطبرى

٢ ـ تفسير الامام القرطبى — للامام شمس الدين أبى عبد الله القرطبى

٣ ـ تفسير الامام ابن كثير — الامام أبى الفدا عمـــاد الدين ابن كثير

ثالثا ـ كتب السنة :

١ ـ صحيح البخارى — الامام ابن عبد الله أحمـــد بن اسماعيل البخارى

٢ ـ صحيح مسلم — للامام محيى الدين شرف

٣ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفــق عليه الشيخان — الأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقى

٤ ـ المستدرك على البخارى ومسلم للحاكم النيسابورى

٥ ـ سنن أبو داود — ابن داود سليمان بن الأشــعث ابن اسحاق السجتانى الأزدى

٦ ـ سنن الترمذى — لابن عيسى محمــد بن عيسى بن سورة

٧ ـ سنن بن ماجة — للامام أبى عبد الله محمـــــد بن يزيد القزوينى

٨ ـ سنن النسائى — للامام أحمد بن شعيب بن على ابن سنان

٩ ـ الموطأ للامام مالك — للامام مالك بن أنس بن مالك

١٠ ـ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى — الامام ابن حجر العسقلانى

١١ ـ صحيح مسلم بشرح النووى — للامام محيى الدين ابن ذكـــريا شرف

رابعا ـ كتب الفقه :

١ ـ المغنى لابن قدامة — للامام بن قدامة المقدس

٢ ـ نيل الأوطار شرح صـــحيح الأخبار — للامام محمد بن على الشوكانى

٣ ـ المحلى لابن حزم — الامام ابن حزم الأندلسى

٤ ـ معارج القبول بشرح ســـلم الوصول — الامام حافظ بن أحمد حكمى

٥ ـ سبل السلام — الامام محمد بن اســـــماعيل للصنعانى

٦ ـ فيض القدير — للمناوى

٧ ـ الفتاوى الكبرى — للامام تقى الدين بن تيميـــــــه الحرانى

٨ ـ مجموعة الرسائل — للامام ابن تيمية

٩ ـ اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم — للامام ابن تيمية

١٠ ـ الجواب الباهر فى زوار المقابر — للامام ابن تيمية

١١ ـ التوسل والوسيلة — للامام ابن تيمية

١٢ ـ اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان — الامام شمس الدين ابن القيم الجوزية .

١٣ ـ الموافقات — الامام أبن اسحاق ابراهيم اللخمى الغرناطى الشاطبى

١٤ ـ الاعتصام — الامام الشاطبى

١٥ ـ سلسلة الاحاديث الضعيفة — للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى

١٦ ـ التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة — عبد الله القرطبى

١٧ ـ الابداع فى مضار الابتداع — للشيخ على محفوظ

١٨ ـ فتاوى الشيخ محمود شلتوت

خامسا :

كتب التاريخ الاسلامى

١ ـ التاريخ الكبير — الامام محمد بن اسماعيل البخارى

٢ ـ تاريخ الطبرى — للطبرى

٣ ـ اسد الغابة فى معرفة اسماء الصحابة — لابن الأثير

٤ ـ الاصابة فى معرفة أسماء الصحابة — لابن حجر

٥ ـ الرياض المستطابه فى معرفة من روى فى الصحيحين من الصحابة — ليحيى من أبى بكر الغامرى

٦ ـ جمهور أنساب العرب — لابن حزم

٧ ـ مروج الذهب — للمسعودى

٨ ــ خلاصة الأثر — للمحبى
٩ ــ معجم البلدان — لياقوت الحموى
١٠ ــ الخلاصة — للخذرجى
١١ ــ تاريخ الامم الاسلامية — للخضرى
١٢ ــ حوليات الاسلام — لأحمد عطيه
١٣ ــ التاريخ الاسلامى — للدكتور على ابراهيم

سادسا :

كتب القبوريين

١ ــ الجواهر السنية — عبد الصمد الأحمدى
٢ ــ الطبقات الكبرى — عبد الوهاب الشعرانى
٣ ــ جواهر المعانى — أحمد التيجانى

تصـــويب الأخطـــاء

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥	١	الثاثة	الثلاثة
٢٥	٢	ويعتمد	ويتعمد
٢٧	١٣	رابعا	لاغى
٣٦	الهامش	السنيد	السنية
٣٧	الهامش	الجوار السنيد	الجواهر السنية
٣٩	١٧	لمن يمرغ	لمن لم يمرغ
٤٠	٧	الصغار	الصغائر
٤٠	١٢	حتى حتى أصبح	حتى أصبح
٤٩	٥	فأ أتخذتم	أفاتخذتم
٤٩	١٩	شركان	شركاء
٥٠	١	يذكرها	بذكرها
٥٠	٥	تقولوا	لا تقولوا
٥٠	٢١	قال	فقال
٥٥	٤	تذكره	تذكرة
٥٥	١٠	المثبته	المثبتة
٧٠	١	سطر كتب خطأ	ويحمل قول الامام مالك فى ذلك عملا بحديث رسول الله ﷺ والذى قال فيه
٧٠	٢٤	للزريعة	للذريعة
٧٦	٩	الا الله	الا لله
٧٧	٢	غفر	لا عقر
٧٧	٣	الصرط	الصراط
٧٨	١٠	وأن هذا المقام	وأن هذا المقام المقام لها
٧٩	١٣	وجهه	وجـــه


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

فهرس

الموضـــوع | صـــفحة